التصوف
في ميزان الفكر الإسلامي

الأستاذ الدكتور

عقيد خالد العزاوي

الجامعة المستنصريّة

مركز المستنصريّة للدِّراسات العربيّة والدوليّة

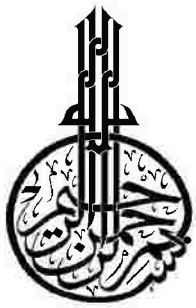

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الكهف، الآية: ٢٨]

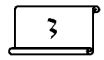

الإهداء

إلى...

شيوخنا الأجلاء من آل هرشم ممن علمونا حب الله وشريعته الـــصافية وحب رسوله والصالحين من عباده، أخصُّ منهم:

حضرة شيخنا الدكتور فائق بن الشيخ الدكتور عبد الله بن الشيخ مصطفى الهرشمي أطال الله في عمره ومتّعه بالصّحة والعافية.

المؤلف

أ. د. عقيد خالد العزاوي

بغداد/ الأعظمية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد...

فقد شاءت قدرة الله تعالى أن أكتب بموضوع التصوف من خلال تدريسي لمادة الفكر الإسلامي، وهذا الموضوع دونا عن بقية الموضوعات له أثر في نفسي لما للموضوع من مساس في حياة المسلمين قديماً وحديثاً، فقد اتَّهم التصوف في أوقات عدّة من تاريخ الأمة؛ إذ كان أحد أسباب انتكاساتها، بل لعلَّ الأصوب أن أقول إنَّ بعض المنتسبين له إمّا جَهلاً أو كونهم من المدسوسين على التصوف قد أساؤوا له، فحاولت أن أُفرّقَ بين التصوف الإسلامي وبين بعض المتصوفة الذين أساءوا للتصوف أكثر مما أحسنوا إليه.

والتصوف دُرِسَ من نواحٍ عدّة، من أهله ومؤيديه، ومن أعدائه وخصومه، ودرس من علماء منصفين أردت أن أتشبه بهم، وأن أتمثل في نفسي قول رسول الله عليه الصلاة والسلام «يرث هَذَا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[1].

وقد قسّمت البحث على فصلين جعلت الأول في توضيح حقائقَ عن التصوف، وقسّمته أربعة مباحث الأول في التعريف بمصطلح التصوف لغة

---

(١) سنن البيهقي الكبرى: ٢٠٩/١٠.

واصطلاحاً، والمبحث الثّاني في أهمية التصوف وأقوال بعض أهل العلم فيه، والثّالث في نشأته، وسبب هذه التسمية، والرّابع كيف قسّم أهل هذا الفن تصانيف الصّوفية وأقسامها، وجعلت الفصل الثّاني بعنون الطرق الصوفية وأبرز رجالاتها، وقسّمته لثلاثة مباحث الأوّل كان لأشهر الطرق الصّوفية في العالم وذكرت خمس طرق كلّ منها في مطلب مستقل، والمبحث الثّاني والثّالث عن رجلين يعدّان من أكثر المؤثرين في هذا الجانب هما الإمام القشيري والشيخ عبد القادر الجيلاني - رحمهما الله تعالى - ولكل مبحث مطالب عدّة ذكرتها في متن البحث، ثمَّ أنهيت البحث بخاتمة لتصوراتي النهائية عن الموضوع، ثم بقائمة بمصادر البحث.

وأخيراً أسأل الله تعالى أنْ أكون قد وفقت في عرضي لهذا الموضوع بإنصاف، وأن أكون قد جانبت الحق والصواب كثيراً فيه، وما كان من زلّة فمن نفسي، وهي من طبائع البشر والحمد لله أولاً وآخراً.

المؤلف

بغداد / ٢٠١٩

تمهيد

إنَّ الناس انقسموا في الصوفية على ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: تركت الصّوفية وعلومها وذمّتها كلياً، و لم تستفد من كلامهم الموافق للكتاب والسّنة مما يتعلق بآداب الإسلام الظاهرة والباطنة. قال ابن القيم رحمه الله تعالى عن هذه الطائفة: «حجبت عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم وصدق معاملتهم فأهدروها لأجل هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار وأساؤوا الظن بهم مطلقا، وهذا عدوان وإسراف فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة وأهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم وتعطلت معالمها»[1].

وغالب من ألف في التصوف في عصرنا هو من هذا النوع من الناس حتى أخذ منهم الإجحاف مأخذه فسبوا من نسب لهؤلاء من رجالات السلف الصالح.

والطائفة الثانية: أقبلت على علوم الصوفية بلا تمييز فأفاضوا بالمدائح على الصوفية واستماتوا في الدفاع عنها وقبلوا منهم كلّ قول حقاً كان أو باطلاً.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في وصف هذه الطائفة: «حجبوا بما رأوه من محاسن القوم وصفاء قلوبهم، وصحّة عزائمهم، وحسن معاملتهم عن رؤية شطحاتهم، ونقصانها فسحبوا عليها ذيل المحاسن وأجروا عليها حكم القبول، والانتصار لها واستظهروا بها في لوكهم، وهؤلاء أيضاً معتدون مفرطون»[2].

وهم أيضاً كثيرون في زماننا قد دعاهم هذا للتزيي بزي التصوف، والدفاع عنه بلا حكمة ولا بصيرة، وعذرهم هو اقتران التصوف الحديث بالبدعة.

---

(١) مدارج السالكين: ٣٩/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٩/٢.

والطائفة الثالثة: سلكت طريق العدالة فقبلوا منهم ما عندهم من الحق وردوا ما عندهم من الباطل مهتدين في ذلك بهدى الكتاب والسنة، وهؤلاء يقول عنهم ابن القيّم رحمه الله تعالى: «وهم أهل العدل والإنصاف الذين أعطوا كل ذي حقٍّ حقّه وأنزلوا كلَّ ذي مترلة مترلته فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح بل قبلوا ما يقبل وردوا ما يرد»[1]، وهم قليلون في زماننا. وأثّر التصوف في حياة المسلمين بوجه عام، فهنالك نزعة روحية نامية في العصر الحديث واتجاه صوفي واضح، والمذهب الرّوحي والتصوف يقتربان في الواقع ويتلاقيان في نواح كثيرة، وهاتان الظاهرتان تبدوان لدى فلاسفة الإسلام بدرجات مختلفة. وقد نفذ التصوف الحديث على الخصوص إلى أعماق المدرسة الفلسفية العربية. ولم يقف أثره عند القدماء، بل تعدّاه إلى التاريخ الحديث[2].

لذا أردت أن أكتب بحثاً متوسط الحجم لا بين الطويل الممل ولا المختصر المخل مما تغمط بسببه العبارة وتدق الإشارة. أتوخى فيه العدل في الحكم على أقوالهم ورجالهم متخذاً من كتاب الله وسّنة رسوله ميزاناً للحق، إذ هو الإمام الذي يجب الاقتداء والاهتداء به دون سواه كما قال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾ [المائدة: ٨]، وقال سبحانه: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾ [المائدة: ٤٨] وأرجو أن أكون فيما كتبت موفقاً للصواب إن شاء الله تعالى.

---

(١) مدارج السالكين: ٢/٤.

(٢) ينظر: مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ١٦٩، الجانب الصوفي في الفلسفة الإسلامية: د. إبراهيم بيومي مدكور.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

❖ **المبحث الأوّل**: توضيح حقائق عن التصوف.

المطلب الأوّل: التصوف في اللغة.

المطلب الثاني: التصوف اصطلاحاً.

❖ **المبحث الثاني**: فائدة التصوف وأهميته وأقوال الأئمة فيه.

المطلب الأول: فائدته وأهميته.

المطلب الثاني: أقوال الأئمة في هذا العلم.

❖ **المبحث الثالث**: نشأته وسبب تسميته.

المطلب الأول: أسباب نشأة التصوف وانتشاره.

المطلب الثاني: مصدر التسمية بالتصوف والصوفية.

❖ **المبحث الرابع**: تصانيف الصوفية وأقسامها.

المطلب الأول: أقسام الصوفية حسب تقسيم شيخ الإسلام.

المطلب الثاني: تصنيفاتهم بحسب تقسيم الرّازي.

المبحث الأوّل
توضيح حقائق عن التصوف

المطلب الأوّل: التصوف في اللغة

ورد في اللغة أنَّ الصوف للشاة، ويقال كبش صاف أي: كثير الصوف. وصاف السّهم عن الهدف مال وعدل، والمضارع منه يصوف ويصيف[1].

ويرى بعضهم أنَّ كلمة صوفية كلمة مولدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية[2]. وعلى هذا تكون كلمة تصوف حادثة وغير معروفة عند العرب الأوائل، ولا في عصر الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، كحدوث مصطلح العقائد والكلام والفقه الأكبر، والنحو والصرف على علم اللغة العربية والمنطق وغيرها.

وقد تكلم الصّوفية في الاشتقاقات اللغوية لمصطلح التصوف، قال ابن عجيبة: «من الصوف، لأنّ الصوفي مع الله تعالى، كالصوفة المطروحة لاستسلامه لله تعالى»[3] بمعنى الرضا والانقياد والتسليم لله تعالى.

ومنهم من قال «إنَّه من الصفة، إذ جملته من اتصاف بالمحاسن وترك الأوصاف المذمومة»[4].

---

(١) ينظر: الصحاح للجواهري: ١٣٨٨/٤-١٣٨٩، والقاموس المحيط: ١٦٩/٣، ولسان العرب: ١٠٢/١١-١٠٣، ومعجم مقاييس اللغة: ٣٢٢/٣.

(٢) ينظر: المصباح المنير: ١٦١/١.

(٣) إيقاظ الهمم في شرح الحكم: ٣/٧.

(٤) المصدر نفسه.

ومنهم من قال «من الصفاء، قال أبو الفتح البستي»[1] رحمه الله:

تخالف الناس في الصوفيِّ واختلفوا جهلاً وظنوا أنَّه مشتقٌّ من الصُوف
ولستُ أمنحُ هذا الاسم إلا فـــتىً صَفا فَصُوفي حتى سُمي الصُّوفيّ[2]

وقالوا أيضاً: إنّهُ مشتق من (أهل الصُّفَّة) وهم الرّعيل الأوّل من صحابة رسول الله ﷺ من الفقراء كأبي هريرة وعمار وغيرهم رضي الله عنهم الذين لازموا الاعتكاف في المسجد النبوي، والذين قال الله عنهُم: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨]؛ لأنّ الصوفي تابع لهم فيما أثبت الله سبحانه لهم من صفات هذهِ الآية[3].

وقيل أيضاً: إنّهُ مشتق من (الصَف)؛ لأنّهم في الصف الأوّل في الإقبال على الله، والبحث عن مرضاته[4].

وقيل إنه مُشتق من (الصُوف)؛ لأن الصُوف لباس خشن، فقد نقل في سيرهم إنَّ الصوف كان لباساً لهم من باب الزّهد والتقشّف والاخشيشان[5].

وقال بعض العارفين: «لابد للصوفي أنْ يتحقق بمعاني حروف اسمه، فالصّاد صفاؤهُ، والواو وفاؤهُ، والفاء فناؤهُ، والياء يقينهُ»[6].

---

(١) علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي، أبو الفتح: شـــاعر عصره وكاتبه. ولد في بست (قرب سجستان) وإليها نسبته سمع من أبي حاتم ابن حبان، وتوفي سنة (٤٠١هـــ). ينظر: الوافي بالوفيات: ٥٦/٧، والأعلام للزركلي: ٣٢٦/٤.

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم: ٣/٧.

(٣) ينظر: اللطائف الإلهية: ٣١.

(٤) ينظر: حقائق عن التصوف: ١١-١٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١١- ١٢.

(٦) اللطائف الإلهية: ٢١.

من خلال تعدد موارد اشتقاقات هذا العلم واختلافها، لا اختلاف تناقض إنّما هو اختلاف ناشئ في أنَّ كل اشتقاقٍ تناول جانباً حقيقياً وموجوداً في علم التصوف.

والظاهر: من خلال تطبيق هذه الاشتقاقات على قواعد اللغة إنَّ أصح الأقوال: هو أنَّ علم التصوف مشتق من الصوفة كما قال ابن عجيبة، لأنَّ نسبة الصوفة هي الصوفية؛ ولأنّ الصوفي شأنهُ الرضا والتسليم والانقياد لله ﷻ... والله أعلم.

ومما ينبغي أنْ ينتبه له: إنَّ مصطلح التصوف والصوفية لم يلق قبولاً عند بعض أهل العلم بسبب المخالفات والأخطاء التي اقترفها بعض المحسوبين على هذا العلم المنتسبين إليه ظلماً وزوراً وبهتاناً، إلا أنّنا يجب أن نركِّز اهتمامنا على المقاصد والمعاني لا على الألفاظ والمباني، فالله تعالى أراد منا إصلاح وإعمار الباطن والظاهر، فالظاهر يصلح بالأحكام العملية المسماة (بالفقه)، والباطن يَعُمر ويَصلحُ بمعرفة الآداب مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ ومع عامة المسلمين. وإن كان تحرز في تسميته بعلم التصوف، فيمكن أن يُسمى هذا العلم بعلم الأخلاق أو علم الروح، أو علم التزكية أو علم الإحسان، أو علم التربية إلى غير ذلك، المهم إصلاح هذا القلب بتخليته من الرذائل وتحليتهِ بالفضائل؛ لأنَّه محط نظر الله ﷻ...

المطلب الثاني: التصوف اصطلاحاً

معنى التصوف: إنَّ التصوف أو الصوفية لفظ لا يشهد له في اللغة العربية قياس ولا اشتقاق، لذا وردت عدةُ أقوالٍ لهذا المصطلح[1].

---

(١) ينظر: الرسالة القشيرية: ٤٢٦.

لقد عُرِّفَ التصوف بتعاريف عدة، حتى أنَّ كلّ إمام من أئمة هذا الفن كان له تعريف مستقل، وسنذكر بعضاً من هذه التعريفات مراعين أشهرها على سبيل الاختصار لا الشمول.

قال الجنيد البغدادي[1] رحمه الله: «التصوف استعمال كلّ خُلق سني، وترك كل خُلق دني»[2].

قال أبو الحسن الشاذلي[3] رحمه الله: «التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها إلى أحكام الربوبية»[4].

---

(١) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد سنة (٢٩٧هـ)، قال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه. وعدّه العلماء شيخ مذهب التصوف، صنف كتبا منها ما هو في التوحيد والألوهية، والفناء. ينظر: وفيات الأعيان: ١١٧/١، وحلية الأولياء: ٥٥/١٠، وصفة الصفوة: ٢٣٥/٢، وتاريخ بغداد: ٢٤١/٧، وطبقات السبكي: ٢٨/٢-٣٧، وطبقات الحنابلة: ٨٩، والأعلام للزركلي: ١٤١/٢.

(٢) النصرة النبوية: ٢٢.

(٣) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز، أبو الحسن، الشاذلي، المغربي، ولد سنة ٥٩١هـ، كان جامعاً لجميع العلوم ولاسيما علم التفسير والحديث، وكان يحضر مجلسه بتونس ومصر أكابر العلماء كابن عصفور ومحيي الدين بن جماعة والعز بن عبد السلام وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذري وابن الصلاح وابن الحاجب وغيرهم، وكان رأس الطائفة الشاذلية من المتصوفة توفي سنة (٦٥٦هـ)، من تصانيفه: السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل، والمفاخر العلية في المآثر الشاذلية. ينظر: شجرة النور الزكية: ١٨٦، والأعلام: ١٢٠/٥، وطبقات الشعراني: ٤/٢.

(٤) حقائق عن التصوف: ٢٢.

وقال رويم بن أحمد [1] رحمه الله عن التصوف: «الاسترسال مع الله على ما يُريد»[2].

قال ابن عربي[3] فالتخلق بأخلاق الله هو التصوف.

قال ابن عجيبة[4] رحمه الله: «التصوف علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل، وأوله علم، ووسطه عمل، وآخرهُ موهبة»[5].

---

(١) رويم بن أحمد وقيل رويم بن محمد بن يزيد بن رويم بن يزيد أبو الحسن وقيل أبو محمد وقيل أبو الحسين الصوفي يكنى أبا الحسن من أفاضل البغداديين وكان عالماً بالقرآن ومعانيه أحد أئمة أهل زمانه كان عالماً بالقراءات: من أقواله: الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك والفتوة أن تعذر إخوانك في زللهم ولا تعاملهم بما يحوجك إلى الاعتذار إليهم مات رويم ببغداد سنة (٣٠٠هـ)، ينظر: تاريخ بغداد: ٨/٤٣٠.

(٢) اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي: ٢٦.

(٣) محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي، والمعروف بابن عربي، ولد في الأندلس في شهر رمضان سنة (٥٦٠هـ)، ذكر أنه سمع بمرسية من ابن بشكوال، وسمع ببغداد ومكة ودمشق، حج ولم يرجع إلى بلده، حمل إلى قاسيون ودفن بتربة بني الزكي. توفي في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة (٦٣٨هـ). ينظر: فوات الوفيات: ٣/٤٣٥، والبداية والنهاية: ١٣/١٥٦.

(٤) أحمد بن محمد بن المهدي، بن عجيبة، الحسني الأنجري، مفسر من أهل التصوف من أهل المغرب ولد سنة (١١٦٠هـ) وتوفي سنة (١٢٢٤هـ) ودفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) له كتب كثيرة: ينظر: الأعلام للزركلي: ١/٢٤٥.

(٥) ينظر: معراج التشوف إلى حقائق التصوف: ٤.

- قال ابن خلدون[1] رحمه الله في مقدمته: «هذا العلم من العلوم الحادثة في الملة، أي: حدوث تسمية - وأصله أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة، وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة»[2].

وقد اعترض على تعريف ابن خلدون لعلم التصوف في أنه لم يتناول كل جوانب هذا العلم، إذ إنَّهُ تناول الجانب العلمي لعلم التصوف المسمى بـ(الطريقة) و لم يذكر الجانب الثاني لهذا العلم وهو ثمار تحقق الجانب الأول، وهو الشهود، والعيان، والمحبة، والكشف، والكرامة، وغيرها المعبَّر عنها بـ(الحقيقة)[3]، والحق: أنَّ ابن خلدون عالج نمو المصطلح وتطوره عبر الزمان، وأبان منهجية رائعة ومثيرة للإعجاب عن الدوافع والأسباب الداخلية

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن، أبو زيد، الحضرمي، الأشبيلي الأصل التونسي ثم القاهري، المالكي، المعروف بابن خلدون، عالم، أديب، مؤرخ، اجتماعي، حكيم. وولي في مصر قضاء المالكية. وأخذ الفقه عن قاضي الجماعة ابن عبد السلام وغيره. من تصانيفه: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر وتاريخ ابن خلدون، وشرح البردة، ينظر: شذرات الذهب: ٧٦/٧، والضوء اللامع: ١٤٥/٢، والأعلام: ١٠٦/٤، ومعجم المؤلفين: ١٨٨/٥.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ٦٧.

(٣) ينظر: اللطائف الإلهية: ١٩.

والخارجية، التي كان لها الأثر في إضافة معان جديدة للمصطلح وإسقاط أخرى لها ارتباط به، والداعي لهذا في رأيه الصائب أمران: **الأوّل**: طبيعة المنهج الصوفي، **الثّاني**: تطور موارد الثقافة الإسلامية.

قال الشريف الجرجاني رحمه الله[1] عن التصوف: «تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة واتباع رسول الله ﷺ في الشريعة»[2].

- وقال أحمد زروق رحمه الله[3] في قواعده: «التصوف علم قصد لإصلاح

---

(١) علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني، ولد سنة (٧٤٠هـ) بجرجان، وتوفي في شيراز سنة (٨١٦هـ)، إمام كبير، حضر مجلس قطب الدين الرازي حتى فلق في تحصيل العلوم كل محقق، ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الباب الحلبي: ٢٩٦/٢، وكتاب روضة الجنات في أحوال العلماء والسادات: ٣٠٢/٥.

(٢) التعريفات: ٦٣-٦٤.

(٣) هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى، أبو العباس، البرنسي الفاسي، المالكي، الشهير بزروق. فقيه، محدث، صوفي، ولد سنة (٨٤٦هـ)، وتوفي سنة (٨٩٩هـ)، من تصانيفه: شرح مختصر خليل، وشرح رسالة أبي زيد القيرواني، والبدع التي يفعلها فقراء الصوفية، تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول، وشرح الأسماء الحسنى وشرح الحقائق والدقائق. وفي نيل الابتهاج له تسعة وعشرون شرحاً على الحكم العطائية، وشرحان على حزب البحر للشاذلي، ينظر: نيل الابتهاج: ٨٥، وشجرة النور الزكية: ٢٦٧، والضوء اللامع: ٢٢٢/١، والأعلام: ٨٧/١، ومعجم المؤلفين: ١٥٥/١.

القلوب، وإفرادها لله تعالى عما سواه»[1].

الرّاجح: لا يوجد في كل التعريفات تعريفاً جامعاً مانعاً لعلم التصوف، فمن التعاريف ما يحدثنا عن التصوف أنَّهُ استعمال الأخلاق الحسنة، وترك المذموم منها، ومنها ما يتحدث عن أنَّهُ تدريب النفس على العبادة، ومنها ما يتحدث عن تخلية القلب من الرذائل وتحليته بالفضائل، ومنها ما يتحدث عن ترك الدنيا وزينتها والإقبال على الله، ومنها ما يتحدث عن الرضا والانقياد والتسليم لله تعالى، ومنها ما يتحدث عن مراقبة الله في السر والعلانية، وغيرها كثير.. ومرجع هذا الاختلاف كلهِ ليس إلى تناقض عن معرفة سمة هذا العلم، وإنّما سبب ذلك هو اختلاف القوم في مشاربهم وأذواقهم التي وجدوها وأحسوها عند دخولهم في هذا العلم، فهو اختلاف في توصيف ثمار هذا العلم، أو هو اختلاف في أسباب كسبه وطرقه، أما حقيقته ومبتغاهُ، فهو واحد عند الكل وهو كما يقول ابن زروق في قواعدهِ: «ومرجع كلها - أي هذه التعاريف - لصدق التوجه إلى الله، وإنّما هي وجده فيه»[2] والله تعالى أعلم.

وقيل: إنَّ التصوف الإسلامي هو تربية علمية وعملية للنفوس وعلاج لأمراض القلوب، وغرس للفضائل، وإقلاع عن الرذائل، وقمع للشهوات وتدريب على الصبر والرضا والطاعات وإنَّهُ علم وحِكمة، وتبصرة وهداية وتربية وتهذيب وعلاج ووقاية، وتقوى واستقامة، وصبر وجهاد، وفرار من الدنيا وزينتها[3].

---

(١) ينظر: قواعد التصوف: ٦.

(٢) قواعد التصوف: ٢.

(٣) رسالة المسترشدين: ٩.

مما تقدم:

يمثل التصوف جانباً واسعاً من التراث الإسلامي باختلاف الأزمنة والأمكنة، فهو يبحث عن الجوهر الكامن وراء الأشياء والطبيعة والكون ليصل الى الحق المطلق، لذا فقد كان التصوف وما زال منهجاً يتبعه العديد من المسلمين سواء أكان على مستوى الأفراد أم الجماعات متمثلة في الطرق الصوفية، وعلى الرغم من أنَّ التصوف يتسم بالنزعة الدينية إلا أنَّ ظهوره في البداية في المجتمعات الإسلامية جاء نتيجة معطيات تاريخية حيث ظهر كرد فعل لحياة الترف والبذخ التي سادت المجتمعات الإسلامية بعد الفتوحات الإسلامية، وفيه سعى المسلمون للتخلص من الغرور والعجب بالنفس والخروج من هذا العالم المتغير المحدود بالزمان والمكان إلى المطلق والسعادة المطلقة حين يخرج من قصور ذاته، وعالمه المحدود إلى ذلك المطلق اللامحدود وحينها تتحد روحه بأهل الحق ليجد السعادة الحقيقية أو يصبح الإنسان الكامل.

وفي بدايات الحضارة الإسلامية وتكونها غلب الدين على نمط الحياة في المجتمعات الإسلامية، ثم نشأ التصوف وازدهر ليسود ثقافة تلك المجتمعات منذ القرن الخامس الهجري، فكما أنَّ التصوف يسعى لتحقيق الشكل الجوهري والوصول للكمال الإنساني من خلال تجربته الذاتية الخاصة، تسعى العلوم الإسلامية أيضاً للوصول إلى الجوهر الخالد الذي يمثل المضمون والحقيقة المطلقة من خلال تلك التجارب.

تعددت الآراء والتحليلات المختلفة التي تحدد نشأة التصوف الإسلامي، فبعض المستشرقين ردوا نشأة التصوف الإسلامية إلى دوافع وتأثيرات فارسية، وهندية، وأفلاطونية وإلى أسباب مسيحية، وهناك من رأى أنَّ التصوف محدث

ظهر ضمن الإسلام نفسه، وأنَّ الدين لا يدين بالقليل ولا بالكثير لمعطيات الثقافات الأجنبية، وعلى الرغم من خضوع التصوف إلى إشعاعات فكرية صادرة عن الحياة الزهدية الصوفية والفكرية للمسيحية الشرقية، فإن النتاج كان نسيجاً إسلامياً يتبع طرازاً إسلامياً متمايزاً، ومن ثم فإنَّ نظاماً صوفياً متقناً نشأ وتبلور بصورة ذاتية داخل الإسلام، وعلى جانب آخر هناك من الباحثين الذين قاوموا القول بالتأثيرات الأجنبية كعوامل منشئة للزهد، إنَّ في القرآن البذور الحقيقية للتصوف عامة، وهذه البذور كفيلة وحدها بتنميته في استقلال عن أي غذاء أجنبي، وقد انتهى هذا القول في نشأة المصطلح الصوفي في الإسلام إلى أنَّ مصادر المصطلحات الصوفية أربعة: الأوّل القرآن، وهو أهمها، والثّاني العلوم العربية الإسلامية كالحديث والفقه، والثّالث: مصطلحات المتكلمين الأوائل، والرّابع: اللغة العلمية التي تكونت في الشرق في القرون الستة الأولى[1].

(١) ينظر: التصوف وأثره على الفن الإسلامي، أ. م. د. هيام مهدي سالمة، بحث منشور في مجلة جامعة حلوان، الشهر الثامن، ٢٠١٧: ١٥٨.

المبحث الثاني
فائدة التصوف وأهميتهُ وأقوال الأئمة فيه

المطلب الأول: فائدته وأهميته

تنبع أهمية هذا العلم وفائدتهُ من خلال موضوعه ومباحثه التي يتناولها، فهو يتناول النفس الإنسانية وآفاتها وعلاجها، والقلب وطرق تحليته بالفضائل، وسبل تنقيته من الرذائل، والعبادات وأسباب قبولها عند الله تعالى حتى يصل العبد بها إلى مقام الإحسان، والإحسان هو الركن الثالث من أركان هذا الدين التي سأل عنها سيدنا جبريل عليه السلام خير الخلق سيدنا محمداً ﷺ.

يقول الحق جل جلاله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

فوظيفة الرسول ﷺ هي تلاوة القرآن وتعليم القرآن والحكمة، وهي سُنة الرسول ﷺ على ما ذكرهُ المفسرون، والتزكية: تُطهِّر أخلاقكم ونفوسكم، بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنـــزيهها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتكم من الشرك، إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع، إلى التحاب والتواصل والتوادد[1].

---

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط: ٦١٨/١. وينظر: تفسير القـــرآن العظـــيم: ٢٤٤/١، وصفوة التفاسير: ١٠٦/١.

ولعل سيرة الرسول ﷺ في دعوته ورسالته للأمة خير مثال، فقد كان ﷺ يدعو إلى الله سبحانه، بتلاوة القرآن تارة، وبتعليمه للقرآن بأقواله وأفعاله وتقريراته تارة، وبالتزكية تارة أخرى، وقصة ذلك الشاب الذي جاء يطلب الإذن بالزنا من الرسول ﷺ فقد جاء في المسند عن أبي إمامة رضي الله عنه قال: [إنَّ فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا مه مه فقال: «ادنه» فدنا منه قريباً فقال: «اجلس قال أتحبه لأمك» قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال: «أفتحبه لابنتك قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك» قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم» قال: «أفتحبه لأختك» قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم» قال: «أفتحبه لعمتك قال لا والله جعلني الله فداءك قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم» قال: «أفتحبه لخالتك» قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» قال فوضع يده عليه، وقال: «اللّهم اغفر ذنبه وطهِّر قلبه، وحصن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء][1].

وقصة سيدنا أُبي بن كعب رضي الله عنه[2] لما دخل الشك والتكذيب في قلبه

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٣٦/٥٤٥، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ابن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر الأنصاري عن أنس أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب أن الله أمرني أن أقريك القرآن واقرأ عليك القرآن قال أُبي وسمّاني لك قال: نعم قال: وقد ذكرت عند ربي العالمين قال: نعم فذرفت عيناه مات أبي بن كعب في خلافة عمر بن الخطاب وقال عبيد الله بن سعد الزهري: مات قبل عثمان وصلى عليه عثمان سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين، ينظر: الاستيعاب: ١-٢١، وتاريخ بغداد: ٢/٣٢٨.

بسبب اختلاف بعض الصحابة في تلاوة القرآن وإقرار الرسول ﷺ لتلك الاختلافات، فقال أُبي بن كعب رضي الله عنه: [فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأني انظر إلى الله عز وجل فرقاً][1] فيا لها من تزكية وهداية نبوية نقلت العبد من أدنى درجات الشك إلى أعلى درجات الإيمان في ذروة مقام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنهُ يَراك.

فهل وضع يدهِ الشريفة على صدر ذلك الشاب وضربه لصدر أبي ابن كعب هي قراءة للقرآن أو تعليم للقرآن والسُنة، أو هو حال التزكية، إذاً فالتزكية شيء وتعليم القرآن والسُنة وقراءتهما شيء آخر، وبذلك يصبح المراد من قولهِ تعالى: (**يُزَكِّيهِمْ**) «يعطيهم حال التزكية ففرق كبير بين علم التزكية وحال التزكية، كما هو الفرق بين علم الصحة وحال الصحة، والجمع بينهما هو الكمال»[2].

فعلم التصوف يبحث في علم التزكية الموصل إلى حال التزكية، كما وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: [كان خلقهُ القرآن][3] وحال التزكية يوصل العبد إلى مقام الإحسان وهو القسم الثالث من أقسام هذا الدين.

من خلال ما تقدم تظهر أهمية هذا العِلم للفرد المسلم وأثرهُ في تقييم السلوك، ولهذا نجد علماء الإسلام يؤكدون عليه ويوصون بأخذهِ من المتصفين بالعلم والحكمة.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم: ١٠٩/٣.

(٢) حقائق عن التصوف: ٣٢-٣٣.

(٣) رواه أحمد رقم: ٢٤٦٤٥: ٩١/٦، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

لم يكن التصوف معروفاً في عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ ولا في عصر التابعين رحمهم الله، وإن كانت حقيقته معروفة، لأنَّ جل ما يصبوا إليه المرء هو الانتساب إلى الصحابة ﷺ ثم إلى التابعين رحمهم الله، وكفى بالمرءِ شرفاً أن ينتسب إلى محمد ﷺ وإلى آله وأصحابه ﷺ بالاتباع.

وفي القرن الأول لم يكن يعرف اسم التصوف، بل كان أهله يعرفون باسم الزُّهاد والنسَّاك والبكَّائين وليس باسم الصوفية، وكان اعتقادهم صافياً وإيمانهم نقياً خالصاً، وما كان ابتعادهم عن الدنيا إلا لارتياعهم من عذاب الآخرة، وهرعوا إلى الكهوف والمغاور ورؤوس الجبال حيث الوحدة الصافية والانعزال عن صخب الحياة المادية[1].

ثم بعد مضي عصر الصحابة والتابعين وفي أواخر القرن الثاني الهجري بدأ لفظ الصوفية يظهر، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (١٦٤- ٢٤١هـ) وأبو سليمان الداراني المتوفى سنة (٢١٥هـ) وقيل إنَّ أول من بني دويرة للصوفية هو بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد المتوفى بعد الخمسين ومائة للهجرة، وهو من أصحاب الحسن البصري، وكان ذلك في البصرة، وإن أول من عرف باسم صوفي في المجتمع الإسلامي هو أبو هاشم الصوفي المتوفى قبل منتصف القرن الثاني الهجري، ويقول عمر رضا كحالة، ورد لفظ الصوفي لقباً مفرداً في النصف الثاني للهجرة؛ إذ نعت به جابر بن حيان الكوفي، وأما صيغة الجمع الصوفية فإنَّها ظهرت فيما انتهى إليه عمر رضا كحالة عام ١٩٩هـ[2].

---

(١) ينظر: شيخ الإسلام وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره: ١٨٧.

(٢) دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة: ٢٤٣، مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١١/٥-٢٩، والمنقذ من الضلال: ٢١٥.

• **الأطوار التي مر بها التصوف:**

إذا أهملنا ظهور اللفظ ونظرنا إلى حقيقة التصوف، وهو الترفع عن الملذات فنستطيع أن ندخل عصر الصحابة ﷺ في ذلك فيكون هو الطور الأول.

طور التسامي عن الحياة المادية: ويكون هذا الطور هو عصر الصحابة وهو يتناول القرن الأول الهجري، وأوائل القرن الثاني عصر كبار التابعين، وهذا العصر مليء بأخبار زهد الصحابة ﷺ، وأبرز رجال هذا الطور الخلفاء الراشدون، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وكذلك عبد الله بن عباس، وأبو عبيدة ﷺ وغيرهم كثير فهم الذين كان يتنـــزل القرآن بين ظهرانيهم ويتلوه عليهم سيد البشر عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ويبين لهم الرسول ﷺ ويأمرهم قائلاً «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[(١)]، وإذا رجعنا إلى كتاب حياة الصحابة للكندهلوي ونظرنا في زهد الرسول ﷺ وزهد أصحابه ﷺ لوجدنا ترفعهم عن الدنيا وتزودهم فيها للآخرة ما يفوق الوصف. والملاحظ أنَّ عصر الصحابة ﷺ كان عصر التوازن بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد، وبين الدنيا والآخرة، وبين الخلوة والمخالطة، فهم مع ترفعهم عن الانخراط والانغماس في متاع الدنيا إلاّ أنهم لم يعزفوا عن الدنيا بالكلية؛ لأنَّ الإسلام يدعو إلى التوازن والتوسط في الأمور جميعها بلا إفراط ولا تفريط. ولم يدع الإسلام إلى الغلو والتنطع ولا إلى التفرغ الكامل للزهد والاعتكاف عن الجهاد بل هناك نصوص كثيرة تخالف هذا الاتجاه منها قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

---

(١) صحيح البخاري: ٥/٢٣٥٨.

المطلب الثاني: أقوال الأئمة في هذا العلم

لم أذكر في هذا المطلب أقوال وآراء علماء التصوف، ومنهم القشيري في هذا العلم، لأنَّهم أهله وفرسانه، فلا يتصور عقلاً أن يصدر منهم ذم له، إنَّما اكتفيت بأقوال الأئمة المتفق عليهم لدى من أحب التصوف، ومن لم يمل إليه. فقد أكد الأئمة قديماً وحديثاً على أهمية علم التصوف الشرعي، وفائدة صحبة أهله، وهذه لمحة يسيرة إلى تلك الأقوال:

هذه نُبَذٌ من الأقوال والشهادات عن التصوف والصوفية لبعض أكابر علماء الأمة الإسلامية، تسفر اللثام عن أصالة التصوف وامتداده وتجذّره في الممارسة الإسلامية منذ نزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ، وأنَّه علم من العلوم الإسلامية المهمة.

يقول الإمام مالك (ت١٧٩هـ): «من تفقه، ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق»[(١)].

قال الإمام الشافعي[(٢)] رحمه الله وهو يوصي أهل العلم:

فقيهاً صوفياً فكن ليس واحداً ... فإنّي وحقّ الله إياك انصحُ

فذلك قاسٍ لم يذق قلبهُ تُقىً ... وهذا جهولٌ كيف ذو الجهلِ يصلحُ[(٣)]

---

(١) حاشية العلامة علي العدوي على شرح الإمام الزرقاني على متن العزية في الفقه المالكي: ١٩٥/٣، شرح عين العلم وزين الحلم للإمام مُلا علي القاري: ٣٣/١، نقلاً عن كتاب حقائق عن التصوف: ٣٦١-٣٦٢.

(٢) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة سنة (١٥٠هـ) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة (١٩٩) فتوفي بها ينظر: الأعلام للزركلي: ٢٦/٦، وينظر: سير أعلام النبلاء: ٥/١٠.

(٣) ديوان الإمام الشافعي: ٢٢.

فهذا الإمام الشافعي يحرص على الاقتداء بالصوفية، ويستفيد منهم ويغترف من معينهم، وكان يقول رحمه الله: «حُبب إليّ من دنياكم ثلاث: ترك التكلف، وعشرة الخلق بالتلطف، والاقتداء بطريق أهل التصوف»[1].

يتأكد تعظيم واحترام الإمام الشافعي للصوفية من خلال القصة التالية: «مر طائفة من المتصوفة على أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه في صحن المسجد، فقال الشافعي رضي الله عنه: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ما على وجه الأرض في هذه الساعة قوم أكرم على الله عز وجل منهم»[2].

كما أنَّه رحمه الله استفاد كثيراً من الصوفية، وكان يقول: «صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين، وفي رواية سوى ثلاث كلمات قولهم: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، وقولهم: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وقولهم: العدم عصمة»[3].

وأما الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فكان يُعظم الصوفية ويرفع من قدرهم؛ لأنَّهم أئمة هدى وصلاح وخير لهذه الأمة. فقد نقل العلامة محمد السفاريني الحنبلي رحمه الله، عن إبراهيم بن عبد الله القلانسي رحمه الله؛ أنَّ الإمام أحمد، قال عن الصوفية: «لا أعلم أقواماً أفضل منهم. قيل إنهم يستمعون ويتواجدون، قال: دعوهم يفرحوا مع الله ساعة»[4].

وقد كان الإمام أحمد قبل ذلك يحذر ابنه عبد الله من صحبتهم فلما سبر

---

(١) كشف الخفا ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: ١/٣٤١.

(٢) التصوف في تراث شيخ الإسلام: ٣٩.

(٣) تأييد الحقيقة العلية، للسيوطي: ١٣.

(٤) غذاء اللباب شرح منظومة الآداب: ١/١٢٠، نقلاً عن حقائق عن التصوف: ٣٦٣.

مذهبهم، وعرف أحوالهم، ومنـــزلتهم أمره بملازمتهم والاقتداء بهم، وفيما يلي قصته مع ابنه: «كان الإمام أحمد رحمه الله قبل مصاحبته للصوفية يقول لولده عبد الله رحمه الله: «يا ولدي عليك بالحديث، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه، فلما صحب أبا حمزة البغدادي الصوفي، وعرف أحوال القوم، أصبح يقول لولده: يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة»[1].

بل أكثر من هذا فالإمام أحمد يُعد في نظر الكثيرين، من كبار الصوفية، لأنَّه رحمه الله يعدُّ من الأوائل الذين تكلموا بعلوم الصوفية كما صرح بذلك شيخ الإسلام في مجموع فتاويه بقوله: «وقد نُقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ، كالإمام أحمد بن حنبل، وأبي سليمان الداراني، وغيرهما[2].

وهذا ما يفسر إدراج الصوفية الإمام أحمد ضمن تراجمهم وطبقاتهم مثل: (حلية الأولياء) لأبي نعيم، و(الطبقات الكبرى) للشعراني، و(الكواكب الدرية) للمناوي، و(التذكرة) لفريد الدين العطار...

وها هو ذا حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله يتحدث في كتابه (المنقذ من الضلال) عن الصوفية، وعن سلوكهم، وطريقتهم بعد أن خبرها وخاض غمارها فيقول: «علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، وأنَّ سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق. بل لو اجتمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء وعلم الواقفين

---

(١) تنوير القلوب: ٤٣٤.

(٢) مجموعة الفتاوى، لشيخ الإسلام: ٥/١١.

على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئاً من سيرهم، وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلا، فإنَّ جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به»[1].

وقال سلطان العلماء العز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ): «قعد القوم من الصوفية على قواعد الشريعة التي لا تنهدم دنيا وأخرى، وقعد غيرهم على الرسوم، ومما يدلك على ذلك، ما يقع على يد القوم من الكرامات وخوارق العادات، فإنه فرع عن قربات الحق لهم، ورضاه عنهم، فلو كان العلم من غير عمل، يُرضي الحق تعالى كل الرضا، لأجرى الكرامات على أيدي أصحابهم، ولو لم يعملوا بعلمهم، هيهات هيهات»[2].

وقد تحدث شيخ الإسلام (٧٢٨هـ): عن التصوف في مجموع فتاويه فقال: «وقد نُقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ، كالإمام أحمد ابن حنبل، وأبي سليمان الداراني، وغيرهما»[3].

وقال: «فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السلف مثل الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد بن محمد، وغيرهم من المتقدمين، ومثل الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ حماد، والشيخ أبي البيان، وغيرهم من المتأخرين، فهم لا يسوغون للسالك، ولو طار في الهواء، أو مشى على الماء،

---

(١) المنقذ من الضلال: ٣٧٨.

(٢) نور التحقيق في حجة أعمال الطريق: ١٠١.

(٣) مجموعة الفتاوى: ٥/١١.

أنْ يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين، بل عليه أن يعمل المأمور ويدع المحظور إلى أن يموت، وهذا هو الحق الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، وهذا كثير في كلامهم»[1].

وقال الشيخ تاج الدين السبكي (٧٧١هـ) رحمه الله في كتابه: (معيد النعم ومبيد النقم)، متحدِّثاً عن الصوفية: «حَيَّاهمُ الله وبيَّاهم، وجمعنا في الجنة نحن وإياهم. وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم؛ لكثرة المُتلبِّسين بها، بحيث قال الشيخ أبو محمد الجويني: لا يصح الوقف عليهم؛ لأنَّه لا حدَّ لهم يعرف. والصحيح صحته، وأنَّهم المعرضون عن الدنيا، المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة»[2].

ثم تحدث عن تعاريف التصوف إلى أن قال: والحاصل أنَّهم أهل الله وخاصته؛ الذين ترتجى الرحمة بذكرهم، ويُستنزل الغيث بدعائهم رضي الله عنهم»[3].

أما الإمام الشاطبي (ت٧٩٠هـ): حيث عقد العزم على التأليف في التصوف ثم أعجلته المنية قبل تحقيق المراد، يقول رحمه الله: «وفي غرضي إن فسح الله في المدة وأعانني بفضله ويسر لي الأسباب أن ألخص في طريقة القوم أنموذجاً يستدل به على صحتها وجريانها على الطريقة المثلى، وأنَّه إنَّما داخلتها المفاسد وتطرقت إليها البدع من جهة قوم تأخرت أزمانهم عن عهد ذلك السلف الصالح، وادعوا الدخول فيها من غير سلوك شرعي ولا فهم لمقاصد أهلها، وتقوَّلوا عليهم ما لم يقولوا به، حتى صارت في هذا الزمان

---

(١) مجموعة الفتاوى: ١٠/٥٠٠.

(٢) معيد النعم ومبيد النقم: ١١٩.

(٣) المصدر نفسه: ١٢٠.

الأخير كأنها شريعة أخرى غير ما أتى به محمد ﷺ، وأعظم من ذلك أنَّهم يتساهلون في اتباع السنة، ويرون اختراع العبادات طريقاً للتعبد صحيحاً، وطريقة القوم بريئة من هذا الخباط بحمد الله»[1].

ويشيد رحمه الله بمذهب الصوفية بقوله: «وقد بنوا نحلتهم على اتباع السنة، وهم باتفاق أهل السنة، صفوة الله من الخليقة»[2].

يقول ابن خلدون: «هذا العلم - يعني التصوف- من علوم الشريعة الحادثة في الملّة؛ وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق، والخلوة للعبادة، وكان ذلك عامّاً في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة»[3].

قال الإمام السيوطي[4] رحمه الله: «أما علم القلب ومعرفة أمراضِه من

---

(١) الاعتصام: ١/٩٠.

(٢) الموافقات: ٤/٢٣٩.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ٣/٩٨٩.

(٤) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين أبو الفضل. ولد سنة (٨٤٩هـ) أصله من أسيوط، ونشأ بالقاهرة يتيماً. وقضى آخر عمره في بيته سنة (٩١١هـ) كان عالماً شافعياً مؤرخاً أديباً وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه والفقه واللغة. كان سريع الكتابة في التأليف، ينظر: شذرات الذهب: ٨/٥١، والضوء اللامع: ٤/٦٥، والأعلام: ٤/٧١.

الحسد والعُجب والرياء، فقال الغزالي[1]: فرض عين».

قال اللقاني[2] في جوهرة التوحيد:

وأمر بعرف واجتنب نميمة وغيبة وخصلة ذميمة

كالعجب والكِبر وداء الحسد وكالمراء والجدل فاعتمد

- وذكر الشارح البيجوري[3] عند قولهِ وخصلة ذميمة: أي واجتنب

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي بتشديد الزاي ولد سنة (٤٥٠هـ). نسبته إلى الغزال (بالتشديد) فقيه شافعي أصولي متكلم من أئمة التصوف رحل إلى بغداد، فالحجاز، فالشام، فمصر وعاد إلى طوس، توفي سنة (٥٠٥هـ) من مصنفاته البسيط والوسيط والخلاصة وكلها في الفقه (تهافت الفلاسفة) وإحياء علوم الدين: ينظر: طبقات الشافعية: ١٠١/٤-١٨٠ والأعلام للزركلي: ٢٤٧/٧؛ والوافي بالوفيات: ٢٧٧/١.

(٢) إبراهيم بن حسن بن محمد بن هارون، اللقاني المصري المالكي، فقيه، محدث مشارك في جميع أنواع العلوم. أخذ عن أعلام منهم: صدر الدين المنياوي وعبد الكريم البرموني وسالم السنهوري وغيرهم، وعنه ابنه عبد السلام والخرشي وعبد الباقي الزرقاني ويوسف الفيشي وأحمد الزريابي وغيرهم توفي بقرب العقبة عائداً من الحج سنة (١٠٤١هـ). من تصانيفه: الجوهرة، ونصيحة الإخوان في شرب الدخان، وحاشية على مختصر خليل، ينظر: شجرة النور الزكية: ٢٩١، فهرس الأعلام: ٨٧١/٤، وخلاصة الآثر: ٦/١.

(٣) إبراهيم بن محمد أحمد الباجوري شيخ الجامع الأزهر فقيه شافعي، ولد في الباجور (أو هي البيجور) إحدى قرى المنوفية بمصر سنة (١١٩٨هـ)، وتعلم في الأزهر، توفي سنة (١٢٧٧هـ) من مؤلفاته: (التحفة الخيرية على الفوائد الشنشورية في الفرائض) و(تحفة المريد على جوهرة التوحيد) وحاشية على شرح ابن قاسم، ينظر: معجم المؤلفين: ٢٤٩/١، ومعجم المطبوعات: ٥٠٧، وإيضاح المكنون: ٢٤٤/١.

كل خصلة ذميمة شرعاً، وإنّما خصّ المصنف ما ذكرهُ بعد، اهتماماً بعيوب النفس، فإنَّ بقاءها مع إصلاح الظاهر كلبس ثياب حسنة على جسم ملطخ بالقاذورات، ويكون أيضاً كالعجب ورؤية العبادة، واستعظامها كما يعجب العبد بعبادته، والعالم بعلمه فهذا حرام، وكذلك الرياء فهو حرام غير مفسد للطاعة، ومثل العُجب والظلم والبغي والكِبر والحسد والمراء والجدل[1].

- يقول ابن عابدين[2] في حاشيته: «إن علم الإخلاص والعُجب والحسد والرياء فرض عين، ومثلها غيرها من آفات النفوس كالكِبر والشح والحقد والغش والغضب والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والبطر والخيلاء والخيانة والمُداهنة والاستكبار عن الحق والمكر والمخادعة والقسوة وطول الأمل ونحوها مما هو مبين في ربع المهلكات من (الإحياء)، قال: ولا ينفك عنها بشر فيلزمه أن يتعلم منها ما يرى نفسهُ محتاجاً إليه» ثم يقول: «وإزالتها فرض عين، ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها، وأسبابها، وعلاماتها، وعلاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه»[3].

---

(١) ينظر: شرح جوهرة التوحيد: ١٢٠-١٢٢.

(٢) هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين. دمشقي. ولد سنة (١١٩٨هـ)، كان فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره توفي سنة (١٢٥٢هـ). صاحب، رد المحتار على الدر المختار - المشهور بحاشية ابن عابدين. خمسة مجلدات وابنه محمد علاء الدين (١٢٤٤-١٣٠٦هـ) المشهور أيضاً بابن عابدين صاحب (قوة عيون الأخيار) الذي هو تكملة لحاشية والده السابقة الذكر: ينظر: الأعلام للزركلي: ٢٦٧/٦؛ ومقدمة تكملة حاشية ابن عابدين المسماة قرة عيون الأخيار ط عيسى الحلبي: ٦-١١.

(٣) حاشية ابن عابدين: ٣١/١.

- يقول صاحب الهدية العلائية علاء الدين بن عابدين: «وقد تظاهرت نصوص الشرع والإجماع على تحريم الحسد، واحتقار المسلمين، وإرادة المكروه بهم، والكبر والعجب والرياء، والنفاق وجملة الخبائث من أعمال القلوب، بل السمع والبصر والفؤاد، كل أولئك كان عنهُ مسؤولاً، مما يدخل تحت الاختيار»[1].

- يقول صاحب مراقي الفلاح: «لا تنفع الطهارة الظاهرة إلا مع الطهارة الباطنة بالإخلاص والنـــزاهة عن الغِل والغش والحقد والحسد، وتطهير القلب عما سوى الله من الكونين، فيعبدهُ لذاته لا لعلة مفتقراً إليه، هو يتفضل بالمن بقضاء حوائجه المضطر بها عطفاً عليه، فتكون عبداً فرداً للمالك الأحد الفرد، لا يسرقك شيء من الأشياء سواه، ولا يستملك هواك عن خدمتك إياهُ»[2].

قال الطيبـــي[3]: «لا ينبغي للعالم - ولو بحر بالعلم حتى صار واحد أهل زمانه أن يقنَع بما علمهُ، وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلوه على الطريق المستقيم، حتى يكون ممن يحدِّثهم الحق في سرائرهم من شدة صفاء باطنهم، ويخلص من الأدناس، وأن يجتنب ما شاب علمهُ من كدورات الهوى

---

(١) الهداية العلائية: ٣١٥.

(٢) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح: ٧١/٧٠.

(٣) هو الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين، الطيبـــي. مـــن علمـــاء الحـــديث والتفسير والبيان. قال ابن حجر: كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والـــسنن. وكان ذا ثروة من الإرث والتجارة فلم يزل ينفقه في وجوه في الخيرات إلى أن كان في آخر عمره فقيراً، وكان شديد الرد على المبتدعة والفلاسفة، توفي سنة (٧٤٣ه)، من تصانيفه: التبيان في المعاني والبيان، والخلاصة في أصول الحديث، وشـــرح مـــشكاة المصابيح، والكاشف عن حقائق السنن النبوية، ينظر: شذرات الـــذهب: ١٣٦/٦، والدرر الكامنة: ٦٨/٢، والأعلام: ٢٨٠/٢، ومعجم المؤلفين: ٥٣/٤.

وحظوظ النفس الأمارة بالسوء حتى يستعد لفيضان العلوم اللدنية على قلبه، والاقتباس من مشكاة أنوار النبوة» ثم يضيف: «إنَّ الله تعالى أمرنا بترك المعاصي الظاهرة كالكذب وأُكل الحرام والغيبة والنميمة، وكان من الوجوب تركها والاتصاف بأضدادها، كذلك أمرنا بترك المعاصي الباطنة كالرياء والحقد والحسد وغيرها، وكان من الوجوب الاتصاف بأضدادها، فالواجب ترك المعاصي الظاهرة والباطنة.. يقول الله ﷻ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، وهذا المنهج هو ما عليه سلف الأمة وأئمة الإسلام[1].

وإذا كان التصوف هو المنهج الصحيح في ترك المعاصي الظاهرة والباطنة، على هدي القرآن الكريم وسيرة المصطفى ﷺ وصحابته وسلف الأمة من العلماء والصالحين ورثة علم النبي ﷺ قولاً وفعلاً وحالاً بسند متصل إليه، فأصبح الأخذ بهذا العلم واجباً شرعياً من باب القاعدة الشرعية (ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب) والله أعلم...

مناقشة بعض العلماء والأئمة الأعلام لبعض التصرفات المحسوبة على التصوف التي ليست منه:

سُئل الشيخ عز الدين ابن عبد السلام عن جماعة من أهل الخير والصلاح والورع يجتمعون في وقت فينشدُ لهم مُنشد: فأجاب: «الرقص بدعة لا يتعاطاه إلا ناقص عقل، ولا يصلح إلا للنساء» ويدّعي بعض الصوفيّة أن الإمام العز ابن عبد السلام كان يتواجد ويرقص في مجالس السماع، ويتّخذُون من ذلك حجّة على إباحة الرقص في مجالس الذكر عندهم. والحقيقة أنَّ الذي

(١) تنوير القلوب: ٤٤-٤٥.

ادّعوه غير صحيح، وكل من يعرف سيرة الإمام العز ابن عبد السلام، يدرك تماماً أن هذا الكلام كذب عليه، وأن إلصاق هذه التهمة بهذا الإمام إنّما هو للتغرير بالعامّة من الناس[1].

وأكبر دليل على كذب من يدعي الصوفية وهي وأهلها منه براء، أنَّ العز رحمه الله، قد نصَّ في أهم كتبه على تحريم ذلك فقال: وأما الرقص والتصفيق فَخِفَّةٌ ورعونة، مُشْبِهَةٌ لرعونة الإناث لا يفعلها إلا راعن أو متصنع كذّاب، كيف يتأتى الرقص المتَّزن بأوزان الغناء، ممن طاش لُبُّه وذهب قلبه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «خير الناس قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». متفق عليه، ولم يكن واحد من هؤلاء الذين يقلدونهم يفعل شيئاً من ذلك[2].

وهذا علم آخر في الأمة هو الإمام القرطبي رحمه الله، وقد ذكر في تفسيره القيم للقرآن الكريم إنَّ طريقة الصوفيّة أن يكون الشيخ منهم يوماً وليلة، وشهراً، مفكّراً، لا يفتر، فطريقةٌ بعيدة عن الصواب، غير لائقة بالبشر، ولا مستمرة على السنن[3].

ويقول رحمه الله: وهذا السجود المنهيّ عنه، قد اتخذه جُهَّالُ المتصوّفة، عادةً في سماعهم، وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم، فيرى الواحد منهم إذا أَخذه الحال بزعمه، يسجد للأقدام لجهله، سواء أكان للقبلة أم غيرها، جهالة منه، ضَلَّ سَعْيُهم، وخاب عملهم[4].

نقل القرطبي في تفسيره عن إمام وعلم من أعلام التفسير والنحو والقراءات

---

(١) ينظر: المعيار المُعَرّب: ١١/٢٩.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: ٢/١٨٦.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤/٣١٥.

(٤) المصدر نفسه: ١/٢٩٣-٢٩٤.

ابن عطيّة الإمام المشهود له بالعلم والورع قوله: استدلَّ العُبَّادُ في تأديب أَنفسهم بالبأساء في تفريق الأَموال، والضراء في الحمل على الأَبدان بالجوع والعُري بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]. قُلتُ - أي: الإمام القُرطبي: هذه جهالة ممن فعلها، وجعل هذه الآية أصلاً لها، هذه عقوبة من الله لمن شاء من عباده أن يمتحنهم بها، ولا يجوز لنا أن نمتحن أَنفسنا ونكافئها قياساً عليها، فإنَّها المطية التي نبلغ عليها دار الكرامة، ونفوز بها من أَهوالِ يومِ القيامة، وفي التنـــزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، فأمرَ المؤمنين بما خاطب به سيد المرسلين، وكان رسول الله ﷺ وأَصحابه يأكلون الطيبات، ويلبسون أحسنَ الثياب، ويتجمّلونَ بها، وكذلك التابعون بعدهم إلى هلمّ جراً.

ولو كان كما زعموا واستدلوا، لما كان في امتنان الله تعالى بالزّروع والجنّات وجميع الثمار والنبات والأنعام التي سخرها، وأَباح لنا أكلها وشرب ألبانها والدفء بأصوافها، إلى غير ذلك مما امتنّ به، كبير فائدة، فلو كان ما ذهبوا إليه فيه الفضل لكان أولى به رسول الله ﷺ وأصحابه ومن بعدهم من التابعين والعلماء[1].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٦/٤٢٤-٤٢٥.

وهذا الحافظ ابن حجر إمام زمانه في الحديث يقول عن القرطبي رحمه الله: وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير، حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التواقح بقوم منهم، إلى أن جعلوها من باب القرب، وصالح الأعمال، وأن ذلك يثمر سني الأحوال، وهذا على التحقيق من آثار الزندقة، وقول أهل المخرفة، والله المستعان.

قال الحافظ ابن حجر: وينبغي أن يعكس مرادهم ويقرأ سيء الأحوال[1].

سئل الإمام أبو بكر الطُّرْطوشي رحمه الله: ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية؟ فاجاب رحمه الله إنَّ اجتماع جماعة من الرجال، فيكثرون من ذكر الله تعالى، وذكر محمد ﷺ، ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيءٍ من الأَديم، ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد، حتى يقع مغشيّاً عليه، ويحضرون شيئاً يأكلونه. هل الحضور معهم جائز أم لا؟ أفتونا مأجورين، يرحمكم الله.

فأجاب رحمه الله: يرحمك الله، مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله، وسنة رسوله، وأما الرقص والتواجد، فأَوّل مَنْ أَحدثه أصحاب السامريّ، لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار، قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون، فهو دين الكفار، وعبّاد العجل.

وأما القضيب فأوّل مَن اتخذه الزَّنادقة، ليشغلوا به المسلمين عن كتابِ الله تعالى. وإنما كان يجلس النبي ﷺ مع أصحابه، كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان ونوّابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها،

---

(١) ينظر: فتح الباري: ٢/٤٤٢.

ولا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم، هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين، وبالله التوفيق[1].

ومن صور من أنكر على الصوفية الباطلة الإمام الذهبي، فتكلم في بيان مخالفتهم لطريقة أهل الزهد والتنسك من المتقدمين، وتمحيص ما عند المتقدمين من خلل: قال رحمه الله في ترجمة (حاتم الأصم) بعد أن ذكر قول حاتم الأصم: لو أنَّ صاحب خبر جلي إليك لكنت تتحرز منه وكلامك يعرض على الله لا تحترز. فقال الذهبي: قلت: هكذا كانت نكت العارفين وإشاراتهم لا كما أحدث المتأخرون من الفناء والمحو والجمع الذي آل بجهلتهم إلى الاتحاد وعدم السوى[2].

وقال الذهبي رحمه الله: قال ابن هلال: جلست عنده. يعني: أبا الجناب أحمد ابن عمر الخوارزمي. في الخلوة مراراً، وشاهدت أموراً عجيبة، وسمعت من يخاطبني بأشياء حسنة.

فقال الذهبي معلقاً: قلت: لا وجود لمن خاطبك في خلوتك مع جوعك المفرط، بل هو سماع كلام في الدماغ الذي قد طاش وفاش، وبقي قرعة كما يتم للمبرسم والمغمور بالحمى والجنون، فاجزم بهذا، واعبد الله بالسنن الثابتة تفلح[3].

قال الذهبي: قلت أما (الإحياء) ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية نسأل الله علماً نافعاً تدري ما العلم النافع هو ما نزل به القرآن،

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١/٢٣٧-٢٣٨.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء: ١١/٤٨٧.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٢٢/٣٦٨.

وفسره الرسول ﷺ قولاً وفعلاً، و لم يأت نهي عنه قال عليه السلام من رغب عن سنتي فليس مني فعليك يا أخي بتدبر (كتاب الله) وبإدمان النظر في (الصحيحين) و(سنن النسائي) و(رياض) النواوي و(أذكاره) تفلح وتنجح، وإياك وآراء عباد الفلاسفة، ووظائف أهل الرياضات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم[1].

ويرى الباحث الأسلوب الأدبي الجم لهؤلاء الأعلام، إذ مع اختلافهم على صاحب الطريقة وأخذهم على منهجه إلا أنَّهم يعرفون لهم فضله والمثال السابق في فضل كتاب الأحياء دليل واضح عل ذلك، وهذه ألفاظه تشهد ومنها قوله، وفيه خير كثير لو لا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء.

وقال الذهبي رحمه الله عن سيد الصوفية (ابن عربي الطائي) وكان ذكياً كثير العلم كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب ثم تزهّد وتفرّد وتعبّد وتوحّد وسافر وتجرّد واهتم وأنجد وعمل الخلوات، وعلِق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة، ومن أردأ تأليفاته كتاب (الفصوص) فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، فواغوثاه بالله، وقد عظمه جماعة، وتكلفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات[2].

ومن آراء بعض العلماء الذين ناقشوا أمر التصوف الحلولي المبتدع، الإمام ابن الحاج المالكي، أحد العلماء الذين أكثر النقل عنهم الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري، من أشهر كتبه كتاب المدخل، والذي رد فيه كثير من بدع

---

(١) المصدر نفسه: ٣٢٢/١٩.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٤٨/٢٣.

الصوفية، فقال رحمه الله في كتابه، وهو يتكلم عن الصوفية وبدعة الغناء والرقص التي أحدثت.

وقد ذكر أن بعض الناس عمل فتوى في سنة إحدى وستين وستمائة ومشى بها على الأربع مذاهب ولفظها: «ما تقول السادة الفقهاء أئمة الدين وعلماء المسلمين وفقهم الله لطاعته وأعانهم على مرضاته في جماعة من المسلمين وردوا إلى بلد فقصدوا إلى المسجد وشرعوا يصفقون ويغنون، ويرقصون تارة بالكف، وتارة بالدفوف والشبابة فهل يجوز ذلك في المساجد شرعاً أفتونا مأجورين يرحمكم الله تعالى؟

فقالت الشافعية: السماع لهوٌ مكروه يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله أعلم.

وقال المالكية: يجب على ولاة الأمور زجرهم وإخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا والله أعلم.

وقالت الحنابلة: فاعل ذلك لا يصلى خلفه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمُهُ، وإن كان حاكماً وإن عقد النكاح على يده فهو فاسد والله أعلم.

وقالت الحنفية: الحصر التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل والأرض التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى يحفر ترابها ويرمى، والله أعلم»[1].

أما الإمام المفسر أبو حيان الأندلسي فقال رحمه الله في كتابه (التفسير الكبير المسمّى بالبحر المحيط) وفي ذيله أيضاً المسمّى النهر المادّ، وكما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، «ومِنْ بعضِ اعتقادِ النصارى استنبطَ مَنْ تستّر بالإسلام ظاهراً

(١) المدخل: ٣/٩٩.

وانتمى إلى الصوفية حُلولَ الله تعالى في الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحدهم إلى القول بالاتحاد والوحدة، كالحلاج والشوذي وابن أحلى وابن عربي المقيم بدمشق وابن الفارض، وأتباع هؤلاء كابن سبعين وابن المطرّف المقيم بمرسية والصفّار المقتول بغرناطة وابن لباج وابن الحسن المقيم بلوزقة، وممن رأيناه يُرمى بهذا المذهب الملعون العفيف التلمساني وله في ذلك أشعار كثيرة، وابن عيّاش المالقي الأسود القطيع المقيم بدمشق، وعبد الواحد بن المؤخر المقيم بصعيد مصر والأيكي العجمي الذي كان تولى المشيخة بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة من ديار مصر وأبو يعقوب بن مبشّر تلميذ التستري المقيم بحارة زويلة بالقاهرة، والشريف عبد العزيز المنوني وتلميذه عبد الغفّار القوصي؛ وإنما سردت أسماء هؤلاء نصحاً لدين الله، يعلم الله ذلك، وشفقة على ضعفاء المسلمين ليحذروهم فهم شرٌّ من الفلاسفة الذين يكذّبون الله ورسوله ويقولون بقدم العالم، وينكرون البعث؛ وقد أُولِعَ جهلة ممن ينتمي للتصوف بتعظيم هؤلاء، وادّعائهم أنهم صفوة الله وأولياؤه، والردّ على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين»[1].

وقال أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى الصوف أشياء من ادعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنَّهم معهم في الجنة يخبرون على رؤوس المنابر ولا ينكر ذلك أحد هذا مع خلوهم من العلوم يوهمون أنَّهم يعلمون الغيب[2].

---

(١) ينظر: البحر المحيط: ٣/٤٤٨.

(٢) البحر المحيط: ٤/١٤٥.

وقال رحمه الله: فلو عاش قتادة إلى هذا العصر وسمع ما أحدث هؤلاء المنسوبون إلى الصوف من الدعاوى والكلام المبهرج الذي لا يرجع إلى كتاب الله ولا إلى سنة رسوله ﷺ والتجري على الإخبار الكاذب عن المغيبات لقضي من ذلك العجب[1].

ويرى الباحث: إنَّه قد ظهر في هذا الزمان ناس ممن ينتسبون إلى الصوفية الباطلة يتسمون بالمشايخ، يلبسون ثياب شهرة عند العامة بالصلاح، ويتركون الاكتساب، ويرتبون أذكاراً لم ترد في الشريعة، ويجمعون لهم خدّاماً يجلبون الناس إليهم لاستخدامهم، ونتش أموالهم، ويذيعون عنهم كرامات، ويرون الوصول إلى الله تعالى بأمور يقررونها في خلوات، وأذكارٍ لم يأت بها كتاب منـــزل، ولا نبي مرسل، ويتعاظمون على الناس بالانفراد على سجادة، ونصب أيديهم للتقبيل، وقلة الكلام، وإطراق الرؤوس، وتعيين خادم يقول: الشيخ مشغول في الخلوة. ورسم الشيخ. قال الشيخ. الشيخ له نظر إليك. الشيخ كان البارحة يذكرك. إلى نحو هذه الألفاظ التي يحشدون بها العامة، ويجلبون بها عقول الجهلة، هذا إن سلم الشيخ من الاعتقاد الصحيح من الحلول، والقول بوحدة الوجود، فإذ ذاك: يكون بعيداً عن شريعة الإسلام، والعجب لمثل هؤلاء كيف ترتب لهم الرواتب، وتبنى لهم الرُّبط، وتوقف عليهم الأوقاف، وتخدمهم الناس مع عدولهم عن سائر الفضائل، على أننا لا ننكر أنَّه يوجد من المتصوفة الحقة الكثير من الصادقين ممن لزم طريقة السلف في الزهد والتصوف الحق واتباع السنة وإنكار البدع المحدثة، فينبغي إنصاف كل ذي حق وإعطائه حقه.

---

(١) المصدر السابق: ٢/٩٣.

وهذا إمام آخر وعَلَمٌ من الأعلام هو القاضي أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله الذي أثر عنه قوله: كذلك نقطع بالإنكار على كل من كَذّب، وأنكر قاعدة من قواعد الشرع، ثم قال: وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من الماليكة وقاضي قضاتها أبو عمرو المالكي على قتل الحلاّج وصلبه لدعواه الإلهية، والقول بالحلول، وقوله: أنا مع الحق. مع تمسّكه في الظاهر بالشريعة، و لم يقبلوا توبته[1].

وقال رحمه الله كلاماً نفيساً نقلاً عن الإمام القرطبي: أما طريقة بعض الصوفيّة أنْ يكون الشيخ منهم يوماً وليلة، وشهراً، مفكّراً، لا يفتر، فطريقةُ بعيدة عن الصواب، غير لائقة بالبشر، ولا مستمرة على السنن[2].

وأما في العصور المتأخرة فهذا علامة بغداد ومفتيها العلامة محمود الألوسي الذي كشف أنَّ بعض الصوفية أصحاب كذب وتدجيل، فقال وأشنع من ذلك ما يفعله أبالسة المتصوفة ومردهم، ثم إنهم - قبحهم الله تعالى - إذا اعترض عليهم بما اشتمل عليه نشيدهم من الباطل يقولون: نعني بالخمر: المحبة الإلهية، أو بالسكر: غلبتها، أو بميّة وليل وسعدى مثلاً: المحبوب الأعظم، وهو الله ﷻ، وفي ذلك من سوء الأدب ما فيه ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقد تكلم بمثل هذا الكلام عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٦].

ومن السماع المحرم سماع متصوفة زماننا؛ وإن خلا عن رقص، فإنَّ مفاسده أكثر من أن تحصى، وكثير ما ينشدون من الأشعار من أشنعِ ما يتلى،

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/٣٢٧.

(٢) أحكام القرآن: ٤/٥٧.

ومع هذا يعتقدونه قُربة، ويزعمون أنَّ أكثرهم رغبة فيه أشدهم رغبة أو رهبة[1]، وهذا من الشناعة والجهل.

وهناك من العلماء من ألف في الرد على بعض المؤلفات التي فيها التلبيس على الناس وأنكرها معظم علماء الأمة قديماً وحديثاً، ومن الأمثلة على ذلك ما ألفه الإمام برهان الدين البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ، فقد ألف هذا الإمام كتاباً فذاً فريداً سماه (تنبيه الغبي بتكفير عمر بن الفارض وابن عربي) قال في خطبة هذا الكتاب عن ابن عربي: وكان كفره في كتابه الفصوص أظهر منه في غيره، أحببت أن أذكر منه ما كان ظاهراً، حتى يعلم حاله، فيهجر مقاله، ويعتقد انحلاله، وكفره وضلاله، وأنَّه إلى الهاوية مآله ومآبه، امتثالاً لما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[2].

ومن أهم من ألف في الرد على الغالين والمبطلين والجاهلين في الدين الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧هـ فقد كتب كتاباً فريداً في موضوعه سماه (تلبيس إبليس) خصَّ الفرق التي خرجت عن منهج الحق والصواب وخصَّ الصوفية والمغالين منهم بفصول من الكتاب وبين تلبيس الشيطان عليهم، وكان مما ذكره في حق من ضل منهم، وكان أصل تلبيسه عليهم أنّه صدّهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات. فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم. وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنّه خلق

---

(١) ينظر: روح المعاني: ١١/٧٥.

(٢) ينظر: تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي: ٢١، والحديث في صحيح مسلم: ٢/٢٤.

للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى إنّه كان فيهم من لا يضطجع. وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنّهم على غير الجادة، ولعله يتمثل فيه العالم قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، وفيهم من كان لقلّة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة، وهو لا يدري. ثم جاء أقوام يتكلمون لهم في الجوع والفقر الوساوس والحظوات وصنفوا في ذلك، وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيف وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة[1].

ثم ما زال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً، ويتكلمون بواقعاتهم. ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو في العلوم حتى سمّوه العلم الباطن، وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر، ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادّعى عشق الحق والهيمان فيه كأنهم تخايلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به، وهؤلاء بين الكفر والبدعة، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق، ففسدت عقائدهم، فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد. وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً[2].

ثم جاء أبو عبد الرحمن السُلمي فصنف لهم كتاب السنن، وجمع لهم حقائق التفسير، فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم. وإنما حملوه على مذاهبهم. والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن[3].

---

(١) ينظر: تلبيس إبليس: ٢٠٢.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٢٠٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٢٠٣.

وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري، قال: كان أبو عبد الرحمن السلمي غير ثقة، ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً فلما مات الحاكم أبو عبد الله بن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه. وكان يضع للصوفية الأحاديث[1].

وقال رحمه الله: وصنف لهم أبو نصر السّراج كتاباً سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى. وصنّف لهم أبو طالب المكي قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالي، وغير ذلك من الموضوع، وذكر فيه الاعتقاد الفاسد. وردد فيه قول - قال بعض المكاشفين - وهذا كلام لا يصح وذكر فيه عن بعض الصوفية أنَّ الله عز وجل يتجلى في الدنيا لأوليائه[2].

ويرى الباحث: إنَّ هذه القسوة في الكلام عليهم لما أحدثوه في ذلك العصر من الغلو والبعد عن السنن والعلم الصحيح المسند المتصل والعلماء الربانيين الأعلام؛ ولعل هذه التصرفات منهم ومن أمثالهم إنّما جاءت للنكسات التي مرّت بها الأمة من غزوة المغول والتتار بلاد المسلمين وخذلان السلاطين والأمراء للناس، وانتشار الفقر والظلم، وهذه قاعدة عامة في الانتكاسات التي تصيب الأمم.

وأورد رحمه الله أموراً كثيرة عن تلبيس الشيطان لهم سأختصر بعضها، ومنها قوله رحمه الله: أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: قال

---

(١) ينظر: تلبيس إبليس: ٢٠٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٤.

أبو طاهر محمد بن العلاف. قال: دخل أبو طالب المكي إلى البصرة بعد وفاة أبي الحسين بن سالم فانتمى إلى مقالته، وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعاظ فخلط كلامه فحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوق أضر من الخالق. فبدّعَهُ الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك، قال الخطيب: وصنف أبو طالب المكي كتاباً سماه قوت القلوب على لسان الصوفية، وذكر فيه أشياء منكرة مستشبعة في الصفات[1].

وقال رحمه الله: وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب الحلية. وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة غير صحيحة، ولم يستح أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضي الله عنهم. فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم شريحاً القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وكذلك ذكر السلمي في طبقات الصوفية وإبراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخي وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد[2].

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أنَّ الزهد لم يذمه أحد، وقد ذموا التصوف على ما سيأتي ذكره وصنف لهم عبد الكريم بن هوازن القشيري كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والبقاء، والقبض، والبسط، والوقت، والحال والوجد والوجود، والجمع، والتفرقة، والصحو، والسكر، والذوق، والشرب، والمحو، والإثبات، والتجلي، والمحاضرة، والمكاشفة، واللوائح، والطوالع، واللوامع، والتكوين، والتمكين والشريعة، والحقيقة، إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء وتفسيره

---

(١) ينظر: تلبيس إبليس: ٢٠٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٥.

أعجب منه، وجاء محمد بن طاهر المقدسي فصنف لهم صفة التصوف فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى.

ومن أهل الفقه الشيخ تقي الدين الحصني الشافعي صاحب كتاب كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، وهو من الكتب المعتمدة في المذهب الشافعي، ذكر في كتاب الزكاة، عند بيان الأصناف التي تُدفع إليهم الزكاة أن المال لا يدفع لمن يلبس ويخلط على الناس دينهم وذكر من المتصوّفة الذين قد اشتهر عنهم أنهم من أهل الصلاح المنقطعين لعبادة ربّهم، قد اتخذ كل منهم زاوية أو مكاناً يظهر فيه نوعاً من الذكر، وقد لفَّ عليهم من له زي القوم وربّما انتمى أحدهم إلى أحد رجال القوم كالأحمدية والقادرية، وقد كذبوا في الانتماء، فهؤلاء لا يستحقّون شيئاً من الزكاة، ولا يحلُّ دفع الزكاة إليهم، ومن دفعها إليهم لم يقع الموقع وهي باقية في ذمّته[1]. ويجب على كل من يقدر على الإنكار أن يُنكر عليهم، وإثمهم متعلّق بالحكام الذين جعلهم الله تعالى في مناصبهم لإظهار الحق، وقمع الباطل وإماتَةِ ما جاء رسول الله ﷺ بإماتته والله أعلم.

وقال الشيخ الحصني رحمه الله أيضاً في كتاب الأقضية عند ذكر من لا تُقبل شهادتهم، فلا تُقبل شهادة القمّام، وهو الذي يجمع القمّامة أي: الكناسة ويحملها، وكذا القيّم في الحمّام، ومن يلعب بالحمام يعني يُطّيرها لينظر تقلّبها في الجو، وكذا المغنّي سواء أتى الناس أو أتوه، وكذا الرّقاص كهذه الصوفيّة الذين يسعون إلى ولائم الظلمة والمكسة، ويظهرون التواجد عند رقصهم، وتحريك رؤوسهم، وتلويح لحاهم كصنع المجانين، وإذا قُرئ القرآن لا يستمعون

---

(١) ينظر: كفاية الأخيار: ١/١٥٩.

له، ولا يُنصتون، وإذا نعق مزمار الشيطان صاح بعضهم على بعض بالوسواس قاتلهم الله ما أزهدهم في كتاب الله، وأرغبهم في مزمار الشيطان وقرن الشيطان، عافانا الله من ذلك [1].

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله عن بعض شيوخه المتقدمين يقول: كان ابن طاهر يذهب مذهب الإباحة، قال: وصنف كتاباً في جواز النظر إلى المُرّاد أورد فيه حكاية عن يحيى بن معين، قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها. فقيل له تصلي عليها، فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح، قال شيخنا ابن ناصر: وليس ابن طاهر بمن يحتج به، وجاء أبو حامد الغزالي فصنف كتاب الإحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث غير الثابتة عن النبي ﷺ وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة، وخرج عن قانون الفقه. وقال: إنَّ المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حجب الله عز وجل، ولم يرد هذه المعروفات. وهذا من جنس كلام الباطنية. وقال في كتابه المفصح بالأحوال: إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق[2].

وقال رحمه الله: وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن والإسلام والآثار وإقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم. وإنما استحسنوها؛ لأنَّه قد ثبت في النفوس مدح الزهد، وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم في الصورة ولا كلاماً أرق من كلامهم. وفي سير السلف

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٢/٢٢٥.

(٢) ينظر: تلبيس إبليس: ٢٠٥.

نوع خشونة، ثم إنَّ ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفي ضمنها الراحة والسماع والطباع تميل إليها. وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصاروا أصدقاء أي: بعد أن صار التصوف حرفة وتكسباً صاحبوا الأمراء والسلاطين.

وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لهم لا تستند إلى أصل، وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها، وقد سموها بالعلم الباطن. والحديث بإسناد إلى أبي يعقوب إسحق بن حية قال سمعت أحمد بن حنبل، وقد سئل عن الوساوس والخطرات. فقال: ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون.

وقال رحمه الله: وقد ذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنّه قال: حذروا من الحارث أشد التحذير، الحارث أصل البلية يعني في حوادث كلام جهم ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم إلى رأي جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام، حارث بمنزلة الأسد المرابط انظر أي يوم يثب على الناس[1].

وقال رحمه الله: بعد أن ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في السماع والرقص والوجد: قال الفقهاء من أصحابنا لا تقبل شهادة المغني والرقاص والله الموفق.

وقال الفقيه الصالح أبو عبد الله الحفار المالكي ت ٨١١هـ: إنَّ هذه الطائفة المنتمية للتصوف في هذا الزمان، وفي هذه الأقطار، قد عظُم الضرر بهم في الدين، وفشت مفسدتهم في بلاد المسلمين ولاسيما في الحصون والقرى البعيدة عن الحضرة هنالك، يُظهرون ما انطوى عليه باطنهم من الضلال، من تحليل ما حرم الله والافتراء عليه وعلى رسوله. وبالجملة فهم قوم استخلفهم

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٧.

الشيطان على حَلِّ عُرى الإسلام وإبطاله، وهدم قواعده[1].

وهذه الأقوال التي ذكرها العلماء هي ممن أساء للتصوف وأهله من خلال بعض السلوكيات التي انتشرت عند عوام المتصوفة والسبب جهلهم بشريعة الله ورسوله وأما أهل السلوك والعمل الروحي من العلماء الربانيين وأهل الصدق فهؤلاء لهم الفضل الكبير ممن مزجوا بين تعاليم الإسلام وسلوكياته وبين الحقيقة والطريقة والآداب التي بدورها ترفع من العبد والوصول به إلى سلم الفلاح والنجاح والوصول إلى الحظوات والسادات وأهل الخير، وذلك من خلال عملهم وعلمهم بالشريعة وكتاب الله وسنة رسوله وهؤلاء هم من القليل إذا ما قيسوا بالعوام ممن ينتسب إلى أهل التصوف والسلوك.

(١) ينظر: المعيار المعرب والجامع المغرب: ٤٢/١١.

المبحث الثالث

نشأته وسبب تسميته

المطلب الأول: أسباب نشأة التصوف وانتشاره

مما تقدم من حكاية التسلسل التاريخي الذي مر به التصوف تبين لنا أنَّ نشأة التصوف وانتشاره يرجع لعاملين مهمين هما:

➤ **أولاً**: البذخ الدنيوي والإسراف في الملذات والشهوات الجسدية، والذي خرج عن حد الاعتدال الأمر الذي حدى ببعض من أنكرت نفوسهم هذا النوع من السلوك، و لم يستطيعوا أن يقاوموا ذلك التيار الجارف أن يعتزلوا تلك المجتمعات، ويفروا بأنفسهم متخذين لمسلك الزهد والتقليل من المباحات والحرص على أصناف التعبدات طريقاً سلوكياً لهم، وقد استشفوا من بعض النصوص الشرعية دليلاً لهم على مسلكهم هذا كحديث «البذاذة من الإيمان»[1]، وقوله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم في الصعدات تجأرون»[2].

➤ **ثانياً**: المؤثرات الخارجية عن طريق التأثر بأفكار الأمم الأخرى من يونان وهنود ويهود ونصارى وسواهم عن طريق من دخل في التصوف من فلاسفة وغيرهم.

وإن كان التصوف في أول أمره لم يكن كذلك، ومن هذا المنطلق اختلف الباحثون في التصوف هل نشأته أمر طبيعي فيكون بسبب مؤثرات في داخل

---

(١) سنن الترمذي الزهد: ٢٣١٢، سنن ابن ماجه الزهد: ٤١٩٠، مسند أحمد بن حنبل: ١٧٣/٥.

(٢) سنن أبو داود الترجل: ٤١٦١، سنن ابن ماجه الزهد: ٤١١٨.

جسم الأمة كالمؤثر الأول أو بمؤثر خارجي أجنبي عن دين الأمة وثقافتها، ومال كل قوم إلى أحد المؤثرين إلا أنَّ الدراسة الجادة تدل على اجتماع المؤثر الداخلي والخارجي في تكوين الفكر الصوفي على شكله الذي انتهى إليه، وهو ما نميل إليه، ونرجحه، ومما يؤيد ذلك أنَّ لعموم الفرق التي انشقت في جسم الأمة أو عنها يرى أنّها تبدأ بمؤثرات سهلة غالباً مؤثرات داخلية نتيجة ردود فعل في المجتمع ثم بعد ذلك يزيد انحرافها عن طريق المؤثرات الخارجية والتي تجد في هذا الانحراف طريقاً لتثبيت أفكارها في نفوس هؤلاء المنحرفين.

ويمكن التماس عدة أسباب أخرى أثرت في انتشار الصوفية:

➤ **أولاً**: استعمال الخارق للعادة كطريق من طرق إثبات الولاية والصلاح مما يجذب العامة، وكذا فقد كثر في رجال التصوف السحرة والدجالون والمشعوذون ومن يستعين بالجن والشياطين مما يجعل التصوف من أعظم الطرق لنشر الخرافة والوثنية بين المسلمين[1].

➤ **ثانياً**: استعمالهم الرقص والغناء وغيرهما من المنكرات مما يغري كثيراً من الفساق بصحبتهم والانخراط في ما هم عليه من سلوكيات كصحبة المردان.

➤ **ثالثاً**: استعمالهم الأساليب الباطنية من إخفاء الأسرار، وعدم كشفها إلا لمن سلك طريقهم بدعوى أنَّ غيرهم لا يمكنه استيعابها ولا فهمها بل ربما حملها مالا تحمل بحسب دعواهم.

➤ **رابعاً**: التساهل في التمسك بالشرائع الإسلامية مما يغري المتساهلين والمحبين للهروب من سلطان الشريعة أن ينتسب إليهم حتى يهرب من عهدة

---

(١) ينظر: الصوفية معتقداً ومسلكاً: ١٢٥، الكشف عن حقيقة الصوفية: ٧٥٧-٧٧١، هذه الصوفية: ١٦٨.

التكليف بدعوى اهتمامهم بالباطن دون الظاهر والمعمول في الشريعة كما يدعون على الباطن فقط.

➢ **خامساً**: خداعهم للعامة بلبس المرقعات وإظهار الزهادة في الدنيا وملذاتها وادعاء الدعاوى العريضة في محبة الله والرضا بالقضاء والقدر والصبر على البلاء.

➢ **سادساً**: الجانب الإعلامي الذي يقوم به الصوفية عن طريق الألقاب والألعاب المتنوعة على أنفسهم وسلوكيات مذهبهم.

هذه الأسباب وغيرها مما أثرت في سلوكيات وانتشار التصوف ولعل القارئ يجد أنَّ هذه الأسباب والمؤثرات جعلت من انتشار هذه الطرق أحد أسباب تشتت الأمة، ولكن هناك جوانب مشرقة وأسباب أخرى جعلت للتصوف أنصاراً ومريدين متمسّكين بحبل الله ونشر العلم والشريعة وخاصة عند علماء أفنوا حياتهم خدمة لهذا الدين نُسكاً وتعبداً وقرباً من الله وبعداً عن السلطان.

المطلب الثاني: مصدر التسمية بالتصوف والصوفية

التصوف لم يكن هذا اللفظ معروفاً بين السلف الصالح ولا سيما في القرون الثلاثة المفضلة وهي عصر الصحابة ﷺ والتابعين رحمهم الله وتابعيهم بإحسان اختلف الناس في منشأ هذه التسمية ومصدرها الذي ترجع إليه ومم اشتقت وذلك على أقوال[1]:

القول الأول: أنها نسبة لأهل الصفة، واعترض عليه بأنه لو كان كذلك لكانت النسبة اللغوية له صُفِّي بضم الصاد وتشديد الفاء مكسورة بعدها ياء النسبة.

---

(١) الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام: ١١- ١٢، مختصر الفتاوى المصرية: ٥٦٧- ٥٦٨.

القول الثاني: أنها نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله. ورد أن النسبة له لغة لو كان كذلك صَفِّي بفتح الصاد بعدها فاء مشددة مكسورة بعدها ياء النسب.

القول الثالث: أنها نسبة للصفوة من الخلق. وهو فاسد؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لكانت النسبة إليه لغة صَفَوِيّ بصاد وبعدها فاء مفتوحين بعدها واو مكسورة ثم ياء مشددة للنسبة.

القول الرابع: نسبة إلى صوفة بن بشر بن أد بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب إليهم النساك قال شيخ الإسلام: «وهذا وإن كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ فإنَّه ضعيف أيضاً، لأنَّ هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك؛ ولأنَّه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى، ولأنَّ غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية ولا وجود لها في الإسلام»[1].

فتحصل من هذا أنَّ هذا القول مردود من خمسة وجوه:

- **الوجه الأول**: كونهم غير معروفين ولا مشهورين بين النساك.
- **الوجه الثاني**: أنَّه لو كانت هذه النسبة مشهورة لكانت شهرتها في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان أولى من شهرتها فيمن بعدهم.
- **الوجه الثالث**: أنَّ من تسّمى بهذا الاسم وهو الصوفية لا يعرف هذه القبيلة.
- **الوجه الرابع**: أنَّه لو قُدِّر فسمعت الصوفية بها فإنَّهم لا يرضون أن يُنسبوا لاسم جاهلي لا وجود له في دين الإسلام.

---

(١) مجموع الفتاوى: ٦/١١.

➤ **الوجه الخامس**: أنَّهم لو رضوا التَسمّي بهذا الاسم الجاهلي لما سلم لهم، ولا قبل منهم، لأنَّه نسبة إلى غير الإسلام والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وبذا يعلم حرمة التسمي باسم لم يَقرُّه الإسلام أو يكون منه.

والقول الخامس: أنّها نسبة إلى الصِّفَة بتشديد الصاد مع كسرها، وفتح الفاء بعدها. ومصدرها معنى هو الاتصاف بالصفات الجميلة الحسنة[1]، وهو فاسد؛ لأنَّ النسبة اللغوية والحالة هذه وَصْفِي بواو مفتوحة وسكون الصاد كسر الفاء بعدها ياء النسب.

القول السادس: يرى الكاتب النصراني جرجي زيدان أنَّ كلمة صوفي هي: الكلمة اليونانية (سوفيا) بمعنى الحكمة، وقد ردّ ذلك المستشرق (نولدكه) إنَّ سيجما اليوناني حرف يمثل في العصور المتأخرة بحرف السين العربي في جميع ما عرب من كلمات يونانية لا بحرف الصاد) كما فعل جرجي زيدان مما يدل على عدم علمه بهذا الأمر، ورد هذا بأنّا نقول: في فيلسوفياً فلسفة لا فلصفة، ولو كان هذا صحيحاً لَعُرِفَ وانتشر لكنّ الأمر ليس كذلك فلا يعلمه من لا يعرف العربية فضلاً عن كفره[2].

القول السابع: أنَّه مشتق من لبس الصوف، وهو الذي رجّحه شيخ الإسلام كما أنَّه موافق للفظ من جهة الاشتقاق اللغوي، وصحيح النسبة إليه، ومما يدل على ذلك ما رواه أبو الشيخ الأصفهاني بإسناده عن محمد بن سيرين أنَّه بلغه أنَّ قوماً يفضلون لباس الصوف فقال: إنَّ قوماً يتخيرون الصوف

---

(١) ينظر: الصوفية معتقداً ومسلكاً: ١٢٦.

(٢) أنواع الكشف عن حقيقة الصوفية: ٧٤٠.

يقولون أنَّهم متشبهون بالمسيح ابن مريم، وهدى نبينا أحب إلينا، وكان النبي ﷺ يلبس القطن وغيره أو كلاماً نحو هذا[1]، وهذا يدل على أنَّ صحة النسب لهذا المعنى لم يخرجه عن مخالفة الشريعة لمخالفته لهديه ﷺ في لباسه لعدم التزامه لبس الصوف، ونحن متعبدون باتباع هديه ﷺ لا باتباع هدي عيسى عليه السلام؛ لأنَّ هديه أكمل الهُدى، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ﴾ [الفتح: ٢٨].

(١) مجموع الفتاوى: ٧/١١.

المبحث الرابع
تصانيف الصوفية وأقسامها

المطلب الأول: أقسام الصوفية حسب تقسيم شيخ الإسلام

ويمكن تقسيم الصوفية من حيث الاختلاف في موضوعات البحث على قسمين:

القسم الأول: أقسامهم من جهة العمل.

القسم الثاني: أقسامهم من جهة الاعتقاد.

أما من جهة العمل:

فقد قسمهم شيخ الإسلام على ثلاثة أقسام هي[1]:

➤ **أولاً: صوفية الحقائق:** وهم الذين مقصود التصوف عندهم عبارة عن حقائق وأحوال وحدود وسيرة مستلزمة لصفاء الباطن من كدر الأمراض الباطنة وصفاء الظاهر بكثرة العبادات، والزهد في الملذات والشهوات، وهؤلاء إنَّما أطلق عليهم صوفية نسبة إلى لباس الصوف، وإن كانت طريقتهم ليس لبسه قيداً فيها ولا هم جعلوا لبسه من أصول الطريقة التي سلكوها ولا أوصوا بلبسه ولا علقوا الصلاح الظاهر والباطن على ذلك كله.

ويرى الصوفية أنَّ هؤلاء هم أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين، وهو يساوي عندهم الصديق (وهو الذي اختص بالزهد والعبادة ولكن على الوجه الذي اجتهدوا فيه فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل

---

(١) ينظر: الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام: ٢٤- ٢٥.

الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم) فهم صديقوا زمانهم فصديقيتهم نسبية، وهم في ذلك على درجات ومقامات.

وقد انقسم الناس في هؤلاء على ثلاث طوائف:

- **الطائفة الأولى**: ذمتهم واعتبرت ما هم عليه بدعة وأخرجوهم عن مسمى السنة المتضمنة لنبذ البدعة والتمسك بما جاء به الرسول ﷺ.
- **الطائفة الثانية**: غلت فيهم وادعوا أنَّهم أفضل الخلق بعد الأنبياء.
- **الطائفة الثالثة**: أنَّهم مجتهدون في طاعة الله كحال سائر المؤمنين فمنهم السابق في الخيرات المتقرب من الله بحسب اجتهاده في طاعة ربه ومنهم المقتصد المحافظ على الواجبات وترك المحظورات، وإن قصّر في المحافظة على المسنونات وترك المكروهات.

ومنهم العاصي المجترئ على بعض المعاصي فهو ظالم لنفسه.

وهذا لا ينفي حصول الخطأ من السابق والمقتصد؛ إذ كل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون فمنهم من يخطئ ويتوب، ومنهم من ليس كذلك.

➢ **ثانياً: صوفية الأرزاق**: وهم الذين تركوا البحث عن الرزق والعمل لكسب المعاش واكتفوا بما يجود به الناس عليهم من الصدقات والأوقاف الخيرية وهؤلاء لا يشترط فيهم أن يكونوا من أصحاب الحقائق لعزة ذلك وقلته؛ لأنَّ أرباب الحقائق لا يتكففون الناس، ولا يعيشون على صدقاتهم، ويشترط فيمن كان من صوفية الأرزاق ثلاثة شروط:

الشرط الأول: العدالة الشرعية، وذلك بفعل الفرائض واجتناب المحرمات والمحافظة على خلق المروءة فلا يفعل ما يستنكر عادة.

الشرط الثاني: التأدب بآداب الطريق الشرعية فيبتعد عن البدع في الدين.

الشرط الثالث: البعد عن فضول الدنيا من جمع الأموال وتكديسها في طلب التكاثر من متاعها.

فإن خالف شرطاً لم يستحق شيئاً من الوقف.

➤ **ثالثاً: صوفية الرسم**: وهم من اقتصر على نسبته إلى الصوفية وتزيا بزيهم من لبس الصوف والمرقعات؛ لكنّه لم يلتزم شيئاً من طريقتهم، ولم يتقيد بشيوخهم في الأعمال الظاهرة والباطنة فهو يتمتم بأقوالهم ولا يلتزم أعمالهم فمن شاهد حالهم ظنهم من الصوفية، وهم في الحقيقة ليسوا منهم، فليس عندهم من التصوف إلا النسبة إليه ولبسته الظاهرة؛ وإلا فإن حقيقتهم أنهم ليسوا منهم.

والظاهر مما تقدم من بيان أنواع الصوفية وأحكامهم عند شيخ الإسلام إنّما جرى عليه رحمه الله بعد اشتهار هذا الاسم عليهم بحيث صار حقيقة عرفية فكان لا بد من التفصيل في أحكامهم وبيان ما صّح منها مما لا يصح؛ لأنَّ اسم التصوف لم يرد الشرع بمدحه ولا ذمه، ولا التسمية به، وعلى هذا فهو لفظ تسّمى به بمدح أو ذم بل لا بد من تمييز ما دخله من حق أو باطل.

وهنالك تقسيمات أو مراتب للصوفية، التي وضعوها هم أو علماؤهم المنسوبون إليهم لبيان طبقات المتصوفة ومكانتهم، وقدرتهم واختيارهم على الخلق، وأعدادهم، وهم بحسب كلام لسان الدين بن الخطيب: «خواصّ الله في أرضه، ورحمة الله في بلاده على عباده: الأبدال، والأقطاب، والأوتاد، والعرفاء، والنجباء، والنقباء، وسيدهم الغوث»[1].

---

(١) روضة التعريف: ٤٣٢.

ولدى الهجويري هم: «أهل الحل والعقد، وقادة حضرة الحق ﷻ، فثلاثمائة يدعون الأخيار، وأربعون آخرون يسمون الأبدال، وسبعة آخرون يقال لهم: الأبرار، وأربعة يسمون الأوتاد، وثلاثة آخرون يقال لهم: النقباء، وواحد يسمى القطب والغوث. وهؤلاء جميعا يعرفون أحدهم الآخر، ويحتاجون في الأمور لإذن بعضهم البعض»[1].

ومثل ذلك ذكرهم الجرجاني في تعريفاته: «القطب، وهو الغوث: عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ومكان، وهو على قلب إسرائيل عليه السلام.

الإمامان: هما شخصان، أحدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت، والآخر عن يساره، ونظره في الملك، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف الغوث.

الأوتاد: عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم: شرق وغرب وشمال وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة.

البدلاء: هم سبعة، ومن سافر من القوم من موضعه، وترك جسداً على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد، فذلك هو البدل لا غير، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام.

النجباء: أربعون، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق فلا يترفون إلا في حق الغير.

النقباء: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس، وهم ثلاثمائة»[2].

---

(١) كشف المحجوب: ٤٤٧-٤٤٨.

(٢) التعريفات: ١٥٤.

وهذا الترتيب مأخوذ عن ابن عربي في فتوحاته كما قال: «والمجمع عليه من أهل الطريق أنّهم على ست طبقات أمهات: أقطاب، وأئمة، وأوتاد، وأبدال، ونقباء، ونجباء»[1].

ومثل ذلك ورد في (الوصية الكبرى) لشيخ العروسية عبد السلام الفيتوري[2].

ولا بأس في إيراد عبارة داود بن محمود القيصري ههنا، لما فيها من زيادة توضيح لهذا الأمر، فيقول: «ولهم مراتب. الأولى مرتبة القطبية، ولا يكون فيها أبداً إلا واحد بعد واحد، ويسمى غوثاً، لكونه مغيثاً للخلق في أحوالهم. ثم مرتبة الإمامين، وهما كالوزيرين للسلطان. أحدهما صاحب اليمين، وهو المتصرف بإذن القطب في عالم الملكوت والغيب، وثانيهما صاحب اليسار، وهو المتصرف في عالم الملك والشهادة. وعند ارتحال القطب إلى الآخرة، لا يقوم مقامه، منهما وإلا صاحب اليسار، لكونه أكمل في السير من صاحب اليمين: لأنَّه، بَعْدُ، ما نزل في السير من عالم الملكوت إلى عالم الملك، وصاحب اليسار نزل إليه، وكملت دايرته في السير والوجود. ثم مرتبة الأربعة، كالأربعة من الصحابة، ﷺ أجمعين! ثم مرتبة البدلاء السبعة، الحافظين للأقاليم السبعة. وكل منهم قطب للإقليم الخاص به. ثم مراتب الأولياء العشرة، كالعشرة المبشرة. ثم مراتب الاثني عشر، الحاكمين على البروج الاثني عشر، وما يتعلق بها ويلزمها من حوادث الأكوان. ثم العشرين والأربعين والتسعة والتسعين، مظاهر الأسماء الحسنى، إلى الثلاثمائة والستين.

---

(١) الوصية الكبرى: ٤٨.

(٢) جامع الأصول في الأولياء: ١٥٧.

وهؤلاء قائمون في العالم على سبيل البدل، في كل زمان، ولا يزيد عددهم ولا ينقص إلى يوم القيامة. وغيرهم من الأولياء يزيدون وينقصون، بحسب ظهور التجلي الإلهي وخفائه. وبعدهم: مرتبة الزهاد والعبّاد والعلماء من المؤمنين، الكائنين في كل زمان إلى يوم الدين. وجميع هؤلاء المذكورين، داخلون في حكم القطب.

والأفراد الكمّل، الذين تعادل مرتبتهم مرتبة القطب إلا في الخلافة، هم الخارجون من حكمه. فإنهم يأخذون من الله، سبحانه، ما يأخذون من المعاني والأسرار الإلهية بخلاف الداخلين في حكمه، فإنهم لا يأخذون شيئاً إلا منه»[1].

وقد ذكرهم المستشرق الفرنسي ماسينيون بقوله: «ويزعم الصوفية أنَّ العالم يدوم بقاؤه بفضل تدخل طبقة من الأولياء المستورين عددهم محدود، وكلما قبض منهم واحد خلفه غيره، ورجال الغيب هم: ثلاثمائة من النقباء، وأربعون من الأبدال، وسبعة أمناء، وأربعة عمد، ثم القطب، وهو الغوث. فهذه المراتب والترتيب والأعداد لم يأخذها المتصوفة إلا من الفرق الأخرى أيضاً، وخاصة من الفرق الأخرى الإسماعيلية والنصيرية كما ذكر شيخ الإسلام في رسائله وفتاواه: «وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة، والأوتاد الأربعة، والأقطاب السبعة، والأبدال الأربعين، والنجباء الثلاثمائة، فهذه الأسماء ليست موجودة في كتاب الله، ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل، إلا لفظ الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: «إنّ فيهم - يعني أهل الشام - الأبدال أربعين رجلاً، كلما

(١) ختم الأولياء للترمذي الحكيم: ٤٩٥.

مات رجل أبدله الله مكانه رجلاً»[1]: ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب.... بل هذا الترتيب والاعتداد يشبه من بعض الوجوه ترتيب الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس والحدّ وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان»[2].

وبذلك قال ابن خلدون في هذا الخصوص، والمسائل الأخرى التي ذكرناها بأنَّ المتصوفة أخذوها من الفرق الأخرى، فيقول: «إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملؤوا الصحف من مثل الهروي في كتاب (المقامات) له وغيره وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الفرق الأخرى الدائنين أيضاً بالحلول ولم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول في القطب، ومعناه رأس العارفين يزعمون أنّه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان، وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب (الإشارات) في فضول التصوف منها فقال جل جناب الحق أن يكون شرعه لكل وارد أو يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد، وهذا كلام لا تقوم عليه حجّة عقلية ولا دليل شرعي، وإنّما هو من أنواع الخطابة، وهو بعينه ما تقوله الفرق الأخرى، ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الفريق الآخر في النقباء»[3].

---

(١) مسند الإمام أحمد: ١٧١/٢، وقال المحققون ضعيف.

(٢) مجموع الفتاوى: ٤٣٣/١١.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ٤٧٣.

هذا وقد أقَّر بذلك أحمد أمين المصري، فكتب: «أنَّ الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالاً وثيقاً، وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدي، وصاغتها صياغة جديدة وسّمته (قطبا)، وكوّنت مملكة من الأرواح، وعلى رأس هذه المملكة الروحية القطب، وهو نظير الإمام أو المهدي في التشيع، والقطب هو الذي (يدبر الأمر في كل عصر، وهو عماد السماء، ولولاه لوقعت على الأرض)، ويلي القطب النجباء، قال ابن عربي في الفتوحات المكية: «وهم اثنا عشر نقيباً في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون، على عدد بروج الفلك الاثني عشر، كل نقيب عالم بخاصية كل برج، وبما أودع الله تعالى في مقامه من الأسرار والتأثيرات... واعلم أنَّ الله تعالى قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة، ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها، ومعرفة مكرها وخداعها، وإبليس مكشوف عندهم، يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه، وهم من العلم بحيث إذا رأى أحدهم وطأة شخص في الأرض علم أنَّها وطأة سعيد أو شقيّ مثل العلماء بالآثار والقيافة»[1].

من خلال هذه الأقوال والنصوص والتقسيمات التي ذكرها العلماء نجد أنَّ تقسيماتهم تكاد تكون متفقة فيما بينهم وهذه التقسيمات هي اجتهادات في تقسيمهم للمراتب والأحوال والطبقات والرجال وكلها من خلال البحث والدراسة جاءت من آثار وثقافة الأمم الأخرى، والطوائف الداخلة على الإسلام من الفرق والمذاهب الكثيرة التي أثرت وتأثرت من خلال التلامح الثقافي والنقل المعرفي، والطرق الصوفية هي الأخرى تأثرت بهذا الاندماج والاحتكاك، ويبقى أمرٌ لابد من ذكره إنَّ هذه التقسيمات للمراتب والأحوال متعارض مع روح الشريعة الإسلامية والنصوص القطعية التي جاءت في كتاب الله وهي أمور اجتهادية من حيث الرؤية المعرفية وليست الشرعية.

---

(١) ضحى الإسلام: ٢٤٥.

المطلب الثاني: تصنيفاتهم بحسب تقسيم الرّازي

يرى الفخر الرّازي للصوفية تقسيماً آخر فقد قسَّمهم على ستة أقسام هي[1]:

١. أصحاب العادات، وهم مساوون لأهل الرسم عند شيخ الإسلام.

٢. أصحاب العبادات، وهم الزّهاد في الدنيا والمنقطعون للعبادة فهم معتنون بالظواهر دون البواطن.

٣. أصحاب الحقيقة، وهم الذين جمعوا بين الاهتمام بالعبادات والباطن، وهو تخلية النفس عن أدرانها الباطنة وتحريرها عن كل ما يشغلها عن ذكر الله، والتفكر في الكون.

٤. النورية وهم القائلون بأنَّ ما يحجب عن الله حجابان:

الأول: منها نُوريّ وهو الاشتغال بإصلاح النفس، واكتسابها للأخلاق الفاضلة.

والثاني: نَاريّ، وهو الاشتغال بما يذم من صوارف النفس كالشهوة والغضب والحرص والأمل.

٥. الحلولية: وهم مدّعو الحلول والاتحاد بينهم وبين الباري ﷻ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٦. المباحية: وهم مدّعو رفع التكاليف عنهم لبلوغهم المرتبة العظمى في المحبة.

ويرجع هذا التقسيم إلى أمرين:

أحدهما: عملي كأصحاب العبادات والحقيقية والنورية.

---

(١) ينظر: الصوفية معتقداً ومسلكاً: ٣٩.

الثاني: عقدي وهم الحلولية والمباحية.

قال ابن القيم: وقد قسّم الصوفية بعضهم أربعة أقسام أصحاب السوابق وأصحاب العواقب، وأصحاب الوقت وأصحاب الحق.

فأما **أصحاب السوابق**: فقلوبهم أبداً فيما سبق لهم من الله لعلمهم أنَّ الحكم الأزلي لا يتغير باكتساب العبد.. فهم يجدون في القيام بالأوامر واجتناب النواهي، والتقرب إلى الله بأنواع القرب غير واثقين بها ولا ملتفتين إليها.

وأما **أصحاب العواقب**: فهم متفكرون فيما يختم به أمرهم فإن الأمور بأواخرها والأعمال بخواتيمها والعاقبة مستورة....

وأما **أصحاب الوقت**: فلم يشتغلوا بالسوابق ولا بالعواقب بل اشتغلوا بمراعاة الوقت، وما يلزمهم من أحكامه.

وأما **أصحاب الحق**: فهم مع صاحب الوقت والزمان ومالكهما ومدبرهما مأخوذون بشهوده عن مشاهدة الأوقات لا يتفرغون لمراعاة وقت ولا زمان.

وهذا التقسم باعتبار أحوال السالكين في العبادة[1].

قال القشيري: «اعلموا أنَّ شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد وصانوا بها عقائدهم من البدع، ودانوا بما وجدوا عليه السلف، وأهل السنة في التوحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل»[2].

وقد نقل عنهم بالأسانيد المتصلة ما يدل على حقيقة ما قرّره من ذلك من كتاب الاستقامة.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين: ١٣٠-١٣١.

(٢) الاستقامة: ٢/١٤.

قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: «العمل بلا اقتداء عيش النفس، والعلم بالاقتداء عذاب على النفس» وقال: «كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل».

وقال الجنيد بن محمد: «من لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن؛ لأنَّ علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة».

وقال أحمد بن أبي الحواري: «من عمل عملاً بلا اتباع سنة رسول الله ﷺ فباطل عمله».

قال أبو سليمان الداراني: «ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة».

وقال أبو حفص النيسابوري: «من لم يزن أفعاله وأقواله كل وقت بالكتاب والسنة و لم يتهم خواطره فلا يعتد في ديوان الرجال».

وقال أبو عثمان: «من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة»[1] قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤].

(١) الاستقامة: ١٤٢/٢.

الطرق الصوفية وأبرز رجالاتها

❖ **المبحث الأول:** أشهر الطرق الصوفية.

المطلب الأول: الطريقة السقطية.

المطلب الثاني: القادرية.

المطلب الثالث: النقشبندية.

المطلب الرابع: التيجانية.

المطلب الخامس: البريلوية.

❖ **المبحث الثاني:** رجال التصوف.

أولاً: الإمام القشيري.

المطلب الأول: حياته.

المطلب الثاني: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الثالث: زهده وورعه.

المطلب الرابع: شيوخه.

المطلب الخامس: تلامذته.

المطلب السادس: مصنفاته.

المطلب السابع: مكانة الرسالة القشيرية بين الكتب.

ثانياً: الشيخ عبد القادر الجيلاني:

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

المطلب الثالث: صفاته الخِلقيّة.

المطلب الرابع: مذهبه وعقيدته.

المطلب الخامس: شيوخه وتلاميذه.

المطلب السادس: آثاره ومناقبه.

المطلب السابع: وفاته.

المبحث الأول

أشهر الطرق الصوفية

وهكذا مضى القرن الثاني الهجري والتصوف لا يزيد على أن يكون سلوكاً فردياً يعبّر عن الزهادة في الدنيا، والتقلل منها والجد في طلب الآخرة وإصلاح الظاهر بأنواع العبادات الظاهرة، وتزكية الباطن بأنواع الأخلاق الباطنة[1].

وما أن دخل القرن الثالث الهجري حتى نحى التصوف طريق التجمع حول بعض الأشخاص آخذاً شكلاً جديداً غير شكله المعتاد، بدعوى أنَّ هؤلاء الأشخاص مكاشفون.

يقول السيد محمود أبو الغيض المنوفي الحسيني: «وهذه الطرق تنسب كل واحدة لولي من الأولياء ﷺ، وقد يرثها حفيد وسيط لولي من أولئك الأولياء فيكرمه الله ﷻ بكرامة آبائه، وأجداده الصالحين فإنَّ من سار على دربهم أكرمه الله مثل إكرامهم ومن فرط أو قصَّر أكرمه الله لأجلهم»[2].

وقول أبي الغيض: «أو قصر أكرمه الله لأجلهم»في كلامه نظر ظاهر؛ لأنَّ الله رهن الناس بأعمالهم كما قال سبحانه: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] وقال: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥] وقال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٩- ٤١]

---

(١) ينظر: الصوفية بين الحق والخلق: ٢٢٥.

(٢) ينظر: الصوفية معتقداً ومسلكاً: ٤٣.

فمن قصّر استحق العقاب لا الإكرام ومن أحسن فله الثواب قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] وأطلق على هذا التجمع حول هذا الشخص، وما يدعيه من أوراد وأذكار اختصّ بها اسم طريقة، وكانت أول الطرق نشأة.

المطلب الأول: الطريقة السقطية

نسبة إلى السري السقطي، وذلك في القرن الثالث الهجري ثم ما زالت الطرق تتسع وتكثر حتى بلغت أوجها في القرنين السادس والسابع ومن ذلك الحين انتشرت الطرق الصوفية انتشاراً لم يسبق له نظير حتى أنَّ الطريقة الواحدة لتنشق منها عدة طرق.

وقد قامت هذه الطريقة على ثلاثة عناصر رئيسة[1]:

➤ **الأول**: سلب المنتسب إلى الطريقة لإرادته وتسليمها إلى الشيخ الذي ينتسب إليه فلا يتصور أن يخالفه البتة، وهو المعبّر عنه بقولهم: «أن يكون المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغسال»[2].

➤ **الثاني**: انقطاع المريد عن الدنيا انقطاعاً تاماً فلا يشارك في الحياة العامة ولا يتجاوب شعورياً مع مشاكل المسلمين وآمالهم.

➤ **الثالث**: يعيش المريد في جو من الحياة الرمزية المليئة بالألغاز، والتي يدّعي أنّه لا يعلم فك معانيها إلا الشيخ المتبوع فهو أعمى أصم لا عقل له يتقبل كل شيء بلا مناقشة ولا اعتراض.

---

(١) ينظر: الصوفية بين الحق والخلق: ١٤٣، ٢٣٢.

(٢) ينظر: منارات السائرين: ٢٣١.

المطلب الثاني: القادرية

نسبة للشيخ عبد القادر الجيلاني الملقب بسلطان الأولياء رحمه الله ولد مؤسسها في بغداد سنة ٥٦١ وهو أعجمي ونسبته الجيلاني ترجع إلى جيلان[١]، وهذا الرجل رُزق بتسع وأربعين ولداً، حمل أحد عشر منهم - من أبنائه - تعاليمه ونشروها في العالم الإسلامي.

ويزعم أتباعه أنّه أخذ الخرقة والتصوف عن الحسن البصري، على الرغم من عدم لقائه بالحسن البصري، كما نسبوا إليه من الأمور العظيمة فيما لا يقدر عليها إلا الواحد الأحد سبحانه وتعالى من معرفة الغيب، وإحياء الموتى وتصرفه في الكون حياً أو ميتاً - عياذًا بالله تعالى - زيادةً على مجموعة من الأذكار والأوراد والأقوال الشنيعة افتراءً عليه رحمه الله ومن هذه الأقوال: أنَّه قال: في أحد مجالسه قدمي هذه على رقبة كل وليّ لله تعالى.

ومما ينسب إليه كما ينقل أتباعه هذه اللفظة – عياذًا بالله تعالى -: من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن ناداني في شدة فرجت عنه، ومن توسل بي في حاجة قضيت له[٢].

المطلب الثالث: النقشبندية

أسسها بهاء الدين محمد بن محمد البخاري، وهي ثورة قامت لتجديد التصوف ومحاولة لإظهارها في ثوب جديد، لذا كان من نتائج هذا التجديد إلغاء كثير من الطقوس الصوفية فألغت الذكر والخلوة والكرامات، وأهم ما ألغته ما يدعيه الصوفية من أنَّ سلسلة التصوف تنتهي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لكنها بعد وفاته رجعت إلى ما عليه الصوفية من الطقوس والأعمال، وقد

---

(١) ينظر: الصوفية بين الحق والخلق: ٢٣٢.

(٢) ينظر: الكشف عن حقيقة الصوفية: ٣٥٧.

توفي مؤسسها في سنة (٧٩١) وأرجعوا سلسلتهم إلى الجنيد بن محمد مـــارةً بأبي يزيد البسطامي حتى اتصل بأبي بكر الصديق[١].

المطلب الرابع: التيجانية

مؤسسها أحمد التيجاني يدعي أنّه أخذ طريقته عن النبي ﷺ مباشـــرة في المنام مات في المغرب سنة (١٢٣٠هـــ) وقد شجّع الاستعمار الفرنسي انتشار هذه الطريقة في البلاد التي احتلها، فيؤمنون بوحدة الوجود، ويقولون بـــأنَّ مشايخهم يكشف عن أبصارهم فيرون الغيب عياذاً بـــالله تعـــالى، ويـــدّعي المؤسس للطريقة واسمه أحمد التيجاني بأنَّه قد التقى بالنبي ﷺ في اليقظة، وأنّه تكلم معه مشافهة، وأنَّه قد تعلم من النبي ﷺ صلاة تسمى بصلاة الفاتح لمـــا أغلق ولفظها: اللهم صلى على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، طبعاً الطريقة التيجانية لهم في هذه الصلاة اعتقادات غريبة تدل على زعمهم منها: أنَّ الرسول ﷺ أخبر التيجاني طبعاً حينما التقى به – حـــسب معتقدهم - أي أن الرسول ﷺ أخبر التيجاني شيخ هذه الطريقة بـــأنَّ المـــرة الواحدة من هذا الدعاء تعدل قراءة القرآن ستّ مرات [٢].

وفي لقائه الثاني المزعوم بالنبي ﷺ أخبره بأنَّ المرة الواحدة مـــن صـــلاة الفاتح تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة كما ذكر ذلك في كتاب (جـــواهر المعاني) لعلي الحرازي، إضافة إلى أنّه من تلا صلاة الفاتح عشر مرات كـــان أكثر ثواباً من الذي لم يذكرها، ولو عاش ألف ألف سنة، يعني مليون سنة، طبعاً

---

(١) ينظر: الكشف عن حقيقة الصوفية: ٣٦٠.

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية: ٣٦٦.

أحبابي في الله يلاحظ عليهم أو يلاحظ على هذه الطريقة شدّة تهويلهم والتقاعس عن أداء العبادات والتهاون فيها، وذلك بسبب ما يشاع بينهم من الأجر والثواب العظيمين على أقل عمل يقوم به الواحد من مريدي هذه الطريقة، طبعاً يقول مؤسس هذه الطريقة أحمد التيجاني لأتباعه أنَّ من رآه دخل الجنة بل، ويزعم أنَّ من حصل له النظر إليه في يومي الجمعة والإثنين دخل الجنة، وكان دائماً يخبر أتباعه بأنَّ النبي ﷺ قد ضمن للطريقة التيجانية وأتباعها دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب، والذي يبين كذب هذا الكلام، وهذه الطريقة أنَّ الرسول ﷺ لم يقل لخير الأجيال ولأفضل جيل عرفته البشرية وهم أصحاب الخليل ﷺ، لم يقل لهم بأنَّهم قد غفر لكم ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر، أو أنَّكم سوف تدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهذا يدلل على كذب مدعي هذه الطريقة وما يعتقدونه؛ لأنَّه يخالف ما جاء في كتاب الله وهدي رسول الله ﷺ، وكذلك مخالفته للعقل والنقل.

المطلب الخامس: البريلوية

تنسب إلى أحمد رضا البريلوي من مدينة بريلي في الهند في ولاية أتريراديش لقب نفسه (عبد المصطفى) ولقبه أتباعه حضرة الأعلى تقوم طريقته على الحلول والغلو مات سنة ١٣٤٠[1].

ويعتقد أصحابها بأنَّ الرسول ﷺ لديه قدرة يتحكم بها في الكون عياذاً بالله تعالى. كما أنَّ لديهم عقيدة تسمى بعقيدة الشهود: وهي أنَّ النبي ﷺ في اعتقادهم حاضر وناظر لأفعال الخلق الآن، وفي كل زمان ومكان عياذاً بالله تعالى.

وينكر أصحاب الطريقة البريلوية بشرية النبي ﷺ بل يجعلونه نوراً من

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية: ٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧.

نور الله تعالى عياذًا بالله من هذا الضلال، وهذا الشرك المبين؛ لأنَّه يخالف النص القرآني والإجماع.

كذلك يحث أصحاب الطريقة البريلوية أتباعهم ومريديهم على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين، ومن ينكر عليهم هذا يرمونه مباشرة بالإلحاد وبالكفر، ولِذَا هذه الطريقة غلو شديد في شخصية الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ، وتكفير من يقف ضدهم وضد آرائهم ومعتقداتهم مثل شيخ الإسلام ومنهجه وتلاميذه، هناك علامة لهذا الطريقة وأتباعهم، يستطيع الإنسان معرفتهم بها، ويميزهم، ومن هذه العلامات التي تعرف بها الطريقة البيرلوية:

١. إصرارهم على تقبيل الإبهامين عند الأذان، ومسح العينين بهما، واعتبار ذلك من الأمور الأساسية، ولا يتركها - في اعتقادهم - إلا من كان عدوًا لله تعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام.

ويبدو أن نَسْبَ الطرق لبعض متقدمي الصوفية وشيوخهم كالجنيد ابن محمد إنَّما هي نسبة متأخرة، وأما هم فلم يكن لهم طرق تنسب إليهم ولا ادعوها كما تقدمت الإشارة إليه.

والناظر في كتاب الله وسنة رسوله يجد النصوص تأمر المسلمين بالتجمع تحت لواء شهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) إذ يقول سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقال ﷺ: «عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار»[(١)]، وفسّر ﷺ الجماعة بأنّه ما كان عليه هو وأصحابه وقال في حديث افتراق الأمة «كلها في النار إلا واحدة»[(٢)].

---

(١) سنن الترمذي الفتن: ٢١٦٥.

(٢) سنن ابن ماجه الفتن: ٣٩٩٣، مسند أحمد بن حنبل: ٣/١٢٠.

مما يدل على أنَّ الصوفية الباطنية المنحرفة، وليست الصوفية الصادقة بعددها وتفرقها وفسادها وعقائدها لا تدخل في مسمى هذه الفرقة الناجية الواحدة لا سيما وأنَّ فيهم من مخالفة الشريعة والاقتداء بغير رسول الله ﷺ ما هو واضح جلي والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] وقال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] فالإمام المتبع المقتدى به هو الرسول ﷺ دون من سواه، وهو لم يجعل لنا بينه وبين الله واسطة في التبليغ غيره فقال ﷺ: «أنا أفضل بني آدم ولا نبي بعدي»[١] وهو ﷺ قد بين لنا كل ما نحتاجه من أمر ديننا ودنيانا قال ﷺ: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»[٢] وقال ﷺ: في معرض الأمر بالاقتداء به «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[٣] وقال: «من رغب عن سنتي فليس مني»[٤] وقال: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي»[٥] وبذا يظهر لنا وجوب الاجتماع على ما جاء به الرسول ﷺ، وأنّه هو الإمام المقتدى به دون سواه، وأنّه لا طريق للعمل بالشريعة سوى ما جاء به مما يدل على أنَّ الاجتماع على أي اسم غير الإسلام والإيمان والإحسان فهو بدعة في الدين لقوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في

---

(١) سنن الترمذي المناقب: ٣٦١٥، سنن ابن ماجه الزهد: ٤٣٠٨.

(٢) سنن ابن ماجه المقدمة: ٤٤.

(٣) سنن أبو داود السنة: ٤٦٠٧، سنن الدارمي المقدمة: ٩٥.

(٤) صحيح البخاري النكاح: ٥٠٦٣، صحيح مسلم النكاح: ١٤٠١.

(٥) موطأ مالك الجامع: ١٦٦١.

النار»[1] وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[2] وأنّه لا يجوز الاقتداء بأي شخص كائن من كان بحيث تُؤْخَذ أقواله وأفعاله مسلمات شرعية إلا إذا ثبت أنّها موافقة لما جاء به الرسول ﷺ كما قال الإمام مالك: «كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر»[3] يريد الرسول ﷺ. وقال الإمام الشافعي: «إذا وافق قولي قول الرسول ﷺ وإلا فاضربوا بقولي عرض الحائط»[4] وبناء على ذلك فليس لأحد من الخلق طاعة مطلقة على عباد الله إلا أن يوافق قوله قول رسول الله ﷺ، ويبدو أن الصوفية تأثروا كثيراً ببعض الفرق الإسلامية أو حتى غير الإسلامية من الفلسفات والثقافات الأخرى مثل الفرق الأخرى في قضية الإمامة فجعلوا شيوخهم كالأئمة عند الفرق الأخرى في تلقي أقوالهم بالقبول وعدم المناقشة أو الاعتراض على شيء منها لا سيما إذا قرن ذلك بإصرارهم على إرجاع نسب شيوخ طرقهم إلى فاطمة الزهراء عليها السلام وسلسلة تصوفهم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام مما يدل دلالة قاطعة على ما قدمناه من تأثرهم بعقيدة الإمامة، هذا ونحن عندما نقول هذا فإنا ننـــزه شيوخ السلف من المنسوبين إلى التصوف أن يكونوا كذلك لما تواتر عنهم، وعلم بطريق النقل الصحيح من معتقد أتباعهم للكتاب والسُّنة ولا أثر للبدعة فيه مع عدم تنـــزيهنا لأحد من البشر من الخطأ؛ إذ كل بني آدم خطاء، أو بعض الفلسفات الدخيلة على الثقافة الإسلامية في عصر الترجمة.

(١) صحيح مسلم الجمعة: ٨٦٧، سنن النسائي صلاة العيدين: ١٥٧٨.

(٢) سنن ابن ماجه المقدمة: ٤٥، مسند أحمد بن حنبل: ٣/٣١١.

(٣) حلية الأولياء: ٣/٣٠٠.

(٤) تيسير العزيز الحميد: ٥٤٦.

المبحث الثاني
رجال التصوف

• أولاً: الإمام القشيري:

المطلب الأول: حياته

➢ أولاً: اسمه:

هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة بن محمد القشيري النيسابوري الشافعي قيل فيه: هو الإمام مطلقاً، الفقيه، المتكلم، الأصولي، المفسر، الأديب.. لسان عصره، من جمع بين الشريعة والحقيقة أستاذ الجماعة ومقدم الطائفة[1].

➢ ثانياً: نسبهُ:

بالقشيري: إلى قبيلة (قشير بن كعب) العربية المعروفة [2].

➢ ثالثاً: كنيته:

أبو القاسم.

➢ رابعاً: لقبهُ:

(زين الإسلام) سماهُ به الإمام السبكي، ولا أعلم أحداً وصفهُ به غيرهُ[3].

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد: ٨٣/١١، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ١٧٠/٣٣، وطبقات الشافعية الكبرى: ١٥٠/٣.

(٢) ينظر: طبقات الشافعية: ١٥٠/٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٠/٣.

➤ **خامساً: ولادته:**

ذكرت المصادر أنَّ ولادتهُ كانت سنة ست وسبعين وثلاثمائة في شهر ربيع الأول في بلدة يقال لها (أستُوا) وكان سكانها من العرب الذين قدموا خراسان وقد توفي أبوهُ وهو طفل صغير لم يبلُغ الحُلم.

➤ **سادساً: أسرته:**

لم تسعفنا المصادر بترجمة وافية تشفي الغليل عن أسرتهِ إلا بعض السطور من هنا وهناك.

فأما أبوه فهو: هوازن بن عبد الملك كان شغوفاً بحب الأدب والشعر، ولاسيما كتب الرقائق[1] ولعل السبب في ندرة المصادر التي ترجمت، هو تقدم وفاتهِ.

- وأما أمهُ: فيذكر ابن الجوزي[2] أنّها (سلمية من قَبيلة سُليم) وكانت فاضلة عابدة ناسكة محبة للعلم توفيت بعدهُ سنة ٤٨٠هـ[3].

- أما زوجتهُ فهي فاطمة بنت أبي علي الدقاق[4] شيخهُ زوَّجَهُ إياها مع

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان: ٢٠٦/٣.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ببغداد سنة (٥٠٨هـ) ووفاته بها (٥٩٧هـ)، له نحو ثلاث مئة مصنف، منها، الأذكياء وأخبارهم ومناقب عمر بن عبد العزيز، وروح الأرواح وشذور العقود في تاريخ العهود والمدهش في المواعظ وغرائب الأخبار وغيرها، ينظر: وفيات الأعيان: ٢٧٩/١، والبداية والنهاية: ٢٨/١٣.

(٣) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١٤٨/١٦.

(٤) ينظر: وفيات الأعيان: ٢٠٦/٣.

كثرة أقاربها، وكانت معروفة بالزهد والورع وليس بمستغرب عليها، لأنّ بيت أبي علي الدقاق بيت علمٍ وزهدٍ وتُقى وورع[1].

➤ **سابعاً: أولاده:**

فقد كان له عدة أولاد منهم: عبد الله وعبد الواحد وعبد الرحيم وعبد المنعم وغيرهم وكلهم أئمة[2].

١. **عبد الرحمن:** كنيتهُ أبو منصور، كان فاضلاً ديناً، ورعاً استوعب الوقت بالخلوة والتلاوة سمع الكثير وكتب الكثير، حج سنة ٤٨٠هـ وتوفي بمكة المكرمة سنة ٥٠٢هـ[3].

٢. **عبد الله:** وكُنيتهُ أبو سعد وأبو الفتح ولد سنة ٤١٤هـ، وكان فاضلاً، وصاحب علوم كثيرة لاسيما علم التصوف وقد سمع الحديث وحدّث، إلا أنَّ اهتمامهُ كان منصباً في علم التصوف. توفي في ذي القعدة سنة ٥٠٧هـ[4]. وولد له أبو المكارم عبد الرزاق، وأبو المعالي عبد الكريم، وأمّه جوهر بنت عبد الله.

٣. **عبد الواحد:** وكنيتهُ أبو سعيد، شيخ خراسان علماً وزهداً، وفضلاً، وكان قوي الحفظ نحوياً، شاعراً حَسن الخط، كثير التلاوة، ملازماً للعبادة، لا يفتر عنها، ولد له أبو الأسعد هبة الرحمن من صالحي نيسابور، من شعر عبد الواحد:

---

(١) ينظر: طبقات الشافعية: ١٥٠/٣.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام: ١٧٥/٣٣.

(٣) ينظر: طبقات الشافعية للأسنوي: ١٥٨/٢.

(٤) ينظر: طبقات الشافعية للأسنوي: ١٥٩/٢.

يا شاكياً فرقة شـــهر الـــصيام تفيض عينـــاهُ كفـــيض الغمـــام
ذلك من أوصاف من لم يكـــن حُضوره الباب بنعـــت الـــدوام
دُم حاضراً بالبـــاب مـــستيقظاً وكل شهر لك شـــهر الـــصيام

توفي سنة ٤٩٤هـ[١].

٤. **عبد الرحيم**: وكنيته أبو نصر بن عبد الكريم بن هوازن من أهل نيسابور. كان من أئمة المسلمين وأعلام الدين، وأشهر أبناء القشيري، قرأ الأصول على والده وتفسير القرآن والوعظ ورزق من ذلك حظاً وافراً، ولازم إمام الحرمين ودرس عليه المذهب والخلاف وبرع في ذلك وجاز أقرانه. وقرأ الأدب ونظم ونثر وسمع من إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، وعبد الغافر ابن محمد بن عبد العزيز الفارسي وغيرهم. وقدم بغداد وسمع ابن النقور، وعبد العزيز الأنماطي، وعبد الباقي بن محمد بن غالب العطار وغيرهم. وسمع بمكة سعد بن علي الزنجاني، والحسن ابن عبد الرحمن الشافعي. وعقد مجلس الوعظ ببغداد وظهر له القبول العظيم وأظهر مذهب الأشعري. توفي سنة ٥١٤هـ[٢]، وقد رزقه الله ذرية من أهل الخير والصلاح منهم أمة الله جليلة، وأمة الرّحيم حَرّة، وأمة الرّحمن سارة.

٥. **عبد المنعم**: وكنيتهُ، أبو المظفر، ولد سنة ٤٤٥هـ، وفي مطلع شبابه سمع من جماعة كثيرين ببغداد وغيرها، وحدّث، وعقد مجلس التذكير مدة حياة والده، حجَّ مرات عديدة، عاد إلى نيسابور واشتغل بالعبادة إلى أن مات بين العيدين سنة ٥٣٢هـ، وهو أصغرهم سِناً وآخرهم موتاً[٣].

---

(١) ينظر: الأنساب: ١٥٦/١٠.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات: ١٢٥/٦، وينظر طبقات المفسرين: ٥٥/١.

(٣) ينظر: طبقات الشافعية: ١٦٠/٢.

➤ ثامناً: نشأته وطلبه العِلْمَ:

بعد وفاة أبيه، نشأ القشيري يتيماً لكن النجابة ظهرت فيه من صغره[١] فقرأ الأدب والعربية، وزعم ابن الجوزي أنَّهُ كان يهوى مخالطة أهل الدنيا، فحضر عند أبي علي الدقاق فجذبهُ إلى ذلك[٢].

وذكر أنَّ القُشيري جاء إلى نيسابور ليعلم الحساب ليتولى الاستيفاء في قريتهِ ويحميها من الخراج[٣] فاتفّق حضوره مجلس أبي علي، ويبدو أنَّه أبا علي الدقاق، فأعجب بكلام أبي علي، والتمس في وجهه سمات الصالحين، وأثرَّ فيه كلامه البليغ كما كان يؤثر في الحاضرين[٤].

وبعدها خرج إلى درس أبي بكر الطوسي[٥] حيث درس عندهُ الفقه حتى فرغ من تعليقهِ، ثم اختلف إلى الأستاذ أبي بكر بن فورك، فقرأ عليه حتى أتقن علم الأصول.

وسمع الحديث من أبي الحسين الخفـــاف[٦]، وأبي نُعـــيم الاســـفراييني،

---

(١) ينظر: تبيين كذب المفتري: ٢٧٤.

(٢) ينظر: المنتظم: ١٦ ١٤٩.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان: ٢٠٦/٣، وتاريخ الإسلام: ٣٣ ١٧١.

(٤) ينظر: شذرات الذهب: ٨/٤.

(٥) محمد بن بكر بن محمد أبو بكر الطوسي النوقاني من نوقان إحدى مدائن طـــوس، هو إمام أصحاب الشافعي بنيسابور وفقيههم ومدرسهم وله الدرس والأصـــحاب ومجلس النظر وله مع ذلك الورع والزهد وتوفي بنوقان سنة (٤٢٠هـــ)، ينظـــر: طبقات الشافعية للسبكي: ١٢١/٤.

(٦) أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر الزاهد، أبو الحسين بن أبي نـــصر النيـــسابوري الخفاف. قال الحاكم: كان مجاب الدعوة، وسماعاته صحيحة بخط أبيـــه مـــن=

وأبي بكر عبدوس المزكى[1]، وأبي نُعيم أحمد بن محمد المهرجاني[2]، وعلي بن أحمد الأهوازي[3]، وأبي عبد الرحمن السلمي، وأبي باكويه الشيرازي[4]، والإمام الحاكم وابن فورك، وأبي الحسين بن شيران[5] وغيرهم، وعندما توفي الأستاذ أبو بكر اختلف إلى الاسفراييني، وجلس يسمع جميع دروسه، فأتت عليه أيام فقد قال لهُ أبو إسحاق: هذا العلم لا يحصل بالسماع، فأعاد عندهُ ما سمعهُ منهُ، فأعجب بقوة ذاكرته، وقررهُ أحسن تقرير، حتى قال: ما كنت أدري أنَّك بلغت هذا المحل، فلست تحتاج درسي، ويكفيك أنك تطالع مصنفاتي وتنظر في طريقتي، وإن أشكلَ عليك طالعتني به، ففعل ذلك، وجمع بين طريقته وطريقة ابن فورك[6].

=أبي العباس السراج وأقرانه، وبقي واحد عصره في علوم الإسناد، ومات في شهر ربيع الأول سنة (٣٩٥هـ). قال الحاكم: وصليت عليه وله ثلاث وتسعون سنة. ينظر: الوافي بالوفيات: ٣٦/٣، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي: ٤٩٥/١.

(١) أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس بن أحمد النيسابوري المزكي، النحوي الفقيه، توفي سنة (٣٩٦هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٥٧/١٧.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن باكويه، الشيرازي الإمام الصالح المحدث، شيخ الصوفية، ولد سنة نيف وأربعين وثلاث مئة. وطلب هذا الشأن، وارتحل فيه، مات سنة (٤٢٨هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٩٨/١١، والنجوم الزاهرة: ٤٨٢/١.

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) ينظر: الكامل في التاريخ: ٩٠/١٠.

ثم نظر بعد ذلك في كتب القاضي أبي بكر ابن الطيب، وهو مع ذلك يحضر مجالس أبي علي الدقاق إلى أن اختارهُ لكريمته فزوجها منهُ[1]، وبعد وفاة الاسفراييني، لازم أبا عبد الرحمن السلمي، إلى أن صار أستاذ خراسان، فأخذ في التصنيف، فصنف التفسير الكبير قبل ٤١٠هـ، ورتب المجالس وخرج إلى الحج في رفقة أبي محمد الجويني والبيهقي وغيرهم. وكان لهُ في الفروسية واستعمال السلاح يد بيضاء[2].

➢ تاسعاً: آراء العلماء في تصوفه وعلمه:

أثنى العلماء عليه، وأشادوا بخلقه وزهده وعلمه، قال عنه التاج السبكي: الأستاذ أبو القاسم القشيري النيسابوري الملقب بزين الإسلام، الإمام مطلقاً، وصاحب الرسالة التي سارت مغربا ومشرقاً، والبسالة التي أصبح بها نجم سعادته مشرقاً، أحد أئمة المسلمين علماً وعملاً وأركان الملة فعلاً ومقولاً، إمام الأئمة ومجلي ظلمات الضلال المدلهمّة، أحد من يقتدى به في السنة [3]، وصار يشار إليه بالبنان وكثر طلابه في البلاد، ولمكانته صحبه العلامة الجويني إمام الحرمين وحج معه برفقة الحافظ أبي بكر البيهقي.

• حلقات التصوف:

وعندما توفي شيخه الدقاق تصدر القشيري حلقات التصوف، وأصبح أستاذ خراسان بلا منازع، وبلغت شهرته الآفاق. وكان صاحب فكر ومنهج إصلاحي يدعو إلى ضرورة الملازمة بين علوم الشريعة والتصوف، وظهر هذا

---

(١) ينظر: المصدر نفسهُ: ٩٠/١٠.

(٢) ينظر: وفيات الأعيان: ٢٠٦/٣، وتاريخ الإسلام: ١٧٢/٣٣.

(٣) ينظر: طبقات الشافعية: ١٢٢/٤.

جلياً في الرسائل والمصنفات القيمة التي حررها، وذكرت المصادر أن أغلب مصنفاته لا تزال مخطوطة، وبعضها فقد، و(الرسالة القشيرية في التصوف) وهى من أهم مصنفاته، وقد اشتهرت في حياته وأقبل الناس عليها، وأراد فيها تبيان حقيقة الصوفية، وأن عقيدتهم هي عقيدة توحيد الله وتنزيهه عن مشابهة الخلق. يعتبر تفسير (لطائف الإشارات) للإمام القشيري والذي اشتهر بالتفسير الكبير، من أجود التفاسير، ويقع في ستة مجلدات، وهو تفسير صوفي حرص الإمام القشيري فيه على أن يعطي دائما تفسيراً إشارياً لآيات الذكر الحكيم، واستعمال اللغة الرمزية في تفسير الأمثال القرآنية والظواهر الطبيعية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم. ويتميز بغياب أو قلة أدوات التفسير التقليدي مثل أسباب النزول والإسرائيليات والأحاديث الشريفة. وتتضح فيه المواقف الكلامية للإمام القشيري، والتي تخص الأسماء والصفات والقدر وخلق الأفعال ومصير مرتكب الكبائر ورؤية الله يوم القيامة، وهذه المواقف لا تبتعد عن مواقف المدرسة الأشعرية التي ينتمي إليها القشيري ودافع عنها بشدة طول حياته. وتوفي الإمام القشيري رحمه الله سنة (٤٦٥هـ).

وقال عنه أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي: الإمام مطلقاً الفقيه المتكلم الأصولي المفسر الأديب النحوي الكاتب الشاعر لسان عصره وسيد وقته وسر الله بين خلقه شيخ المشايخ وأستاذ الجماعة ومقدم الطائفة ومقصود سالكي الطريقة وبندار الحقيقة وعين السعادة وقطب السيادة وحقيقة الملاحة لم يرَ مثل نفسه ولا رأى الراؤون مثله من كماله وبراعته جمع بين علمي الشريعة والحقيقة وشرح أحسن الشرح أصول الطريقة[1].

(١) ينظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: ٣٦٥.

وقال الخطيب البغدادي: وكتبنا عنه وكان ثقة وكان يقص وكان حسن الموعظة مليح الإشارة وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي[1].

➢ عاشراً: وفاتهُ:

تكاد تجمع المصادر على أن وفاتهُ صبيحة الأحد ١٦ ربيع الآخر سنة ٤٦٥هـ ويذكر السيوطي أنَّهُ تمرض قبل وفاتهِ، ورغم شدة المرض، فإنهُ لم تفتهُ صلاة قائماً. توفي في نيسابور، ودفن في المدرسة بباب الطاق، بجوار شيخه أبي علي الدقاق.

ويقال أنَّهُ رُئيَ في المنام، فَسُئِلَ عن حاله فأجاب: أنا في أطيب عيش وأكمل راحة. ومن عجيب ما وقع أنَّ الفَرس التي كان يركبها كانت قد أهديت لهُ، فركبها عشرين سنة، فعندما توفي، امتنعت العَلف، ولم تطعم شيئاً، ولم تُمكّن أحداً من ركوبها، ومكثت أياماً قلائل على هذهِ الحال، إلى أن ماتت.

المطلب الثاني: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

إن ما خلّفهُ القُشيري من أثر علمي واضح في مصنفاتهِ، دليل على علو قَدرهِ ومكانتهِ العلمية، ولاسيما علم التصوف، فكان لهُ القدم العليا في هذا الشأن، لا يشق لهُ غبار.

قال تلميذه الخطيب البغدادي في حقه: «حدث ببغداد، وكتبنا عنهُ، وكان ثقةً»[2] ينعتهُ ابن الجوزي بأنَّهُ كان فقيهاً بارعاً أصولياً محققاً متكلماً سُنياً محدثاً حافظاً[3].

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد: ٨٣/١١.

(٢) تاريخ بغداد: ١٥٠/٣.

(٣) ينظر: المنتظم: ١٤٩/١٦.

وقال ابن خلكان[1]: «كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول، والأدب والشعر والكتابة، وعلم التصوف، جمع بين الشريعة والحقيقة»[2].

وقال السبكي[3] في وصفه: «الإمام مطلقاً، وصاحب الرسالة التي سارت مغرباً ومشرقاً. والبسالة التي أصبح بها نجم سعادته مُشرِقاً»[4].

وقال الباخرزي[5]: «الإمام زين الإسلام، أبو القاسم، جامع لأنواع المحاسن تنقاد لهُ صعابها ذلك المراسن، فلو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب، ولو ربط إبليس في مجلس تذكيره لتاب»[6] **قلت**: هذا مدح مبالغ فيه فإبليس مطرود من رحمة الله ولا تُقبل لهُ توبة.

---

(١) محمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر بن خلكان القاضي بهاء الدين أبو عبد الله الأربلي الشافعي قاضي بعلبك، ولد بأربل سنة ٦٠٣هـ، وسمع صحيح البخاري من أبي جعفر ابن مكرم وكان معدوم النظير في كثير من أوصافه من التواضع المفرط ولين الكلمة ورقة القلب وسلامة الصدر، توفي ببعلبك قاضياً بها في سنة (٦٨٣هـ)، ينظر: الوافي بالوفيات: ١/٩٠، والأعلام: ١/٢٢٠.

(٢) وفيات الأعيان: ٣/٢٠٥.

(٣) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي، أبو نصر، تاج الدين أنصاري، من كبار فقهاء الشافعية. ولد بالقاهرة سنة (٧٢٧هـ) سمع بمصر ودمشق. تفقه على أبيه وعلى الذهبي. برع حتى فاق أقرانه. كان السبكي شديد الرأي، قوي البحث، يجادل المخالف في تقرير المذهب، توفي سنة (٧٧١هـ)، من تصانيفه، ينظر: طبقات الشافعية، لابن هداية الله الحسيني: ٩٠، وشذرات الذهب: ٦/٢٢١، والأعلام: ٤/٣٢٥.

(٤) طبقات الشافعية: ٣/١٥٠.

(٥) أحمد بن الحسين الباخرزي، أبو نصر، أديب وجيه، من مفاخر باخرز، له شعر رقيق وأدب غض. استوزره الأمير بيغوا الحسن بن موسى في خراسان. ومات قتيلا في قرية (بنداشير) سنة (٤٣٥هـ)، ينظر: الأعلام: ١/١١٦.

(٦) ينظر: دمية القصر: ٢/٢٤٣.

المطلب الثالث: زهدهُ وورعهُ

لقد سبق القول بأنَّ القشيري انحدر من عائلة صلاح وتقوى وحب للخير، حتى أنَ الذي تكفلهُ بعد موت أبيه، كان موصوفاً بذلك، مع تأثره بعلماء عصره نتيجة صحبتهِ لهم، ولاسيما أبو علي الدقاق وغيرهُ.

ومن الجدير بالذكر أنَّهُ رحمه الله قد انتهت إليه رئاسة التصوف في زمانه، لما أتاه الله من الأحوال والمجاهدات وتربية المريدين وتذكيرهم، وعباراتهم العَذبة لهم، فكان عديم النظير في ذلك، طيب النفس، لطيف الإشارة غواصاً في المعاني[1].

وقال عبد الغافر الفارسي[2]: «ومن جملة أحواله، ما خُصَّ به من المحنة في الدين، وظهور التعصب بين الفريقين في عشر سنة أربعين إلى خمس وخمسين وأربعمائة، وميل بعض الولاة إلى الأهواء، وسعي بعض الرؤساء إليه بالتخليط، حتى أدى ذلك إلى رفع المجالس، وتفرَّق شمل الأصحاب، وكان هو المقصود من بينهم حسداً، حتى اضطر إلى مفارقة الوطن»[3].

ومن شعرهِ رحمه الله:

---

(١) ينظر: تاريخ الإسلام: ١٧٢/٣٣.

(٢) أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد ابن محمد بن سعيد الفارسي الحافظ، ولد سنة (٤٥١هـ) كان إماماً في الحديث والعربية وقرأ القرآن الكريم، وتفقه على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، صنف كتباً عديدة منها: المفهم لشرح غريب صحيح مسلم والسياق لتاريخ نيسابور وغيرها، توفي سنة (٥٢٩هـ). ينظر: وفيات الأعيان: ٢٢٥/٣.

(٣) ينظر: المنتخب من السياق: ٣٣٤.

سَقى الله وقتاً كنت أخلو بوجهكم وثغر الهوى في روضة الأُنس ضاحكُ
أقمنا زمانـــاً والعيـــون قريـــرة وأصبحت يوماً والجفون سوابكُ[1]

المطلب الرابع: شيوخُهُ

سمع القشيري من عدد كبير من العلماء والشيوخ، وكان حريصاً على وقتهِ، ومن أبرز شيوخهِ.

١. **الحاكم النيسابوري**: محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهَّماني النيسابوري الشهير بالحاكم، أبو عبد الله، من أكابر حفاظ الحديث، والمصنفين فيه. ولد في نيسابور سنة ٣٢١هـ، وتوفي فيها سنة ٤٠٥هـ. رحل إلى العراق سنة ٣٤١هـ، حجّ وجال في بلاد خراسان، وما وراء النهر، وأخذ على نحو ألفي شيخ. وتفقه على أبي علي بن أبي هريرة وأبي الوليد النيسابوري وأبي سهل الصعلوكي وغيرهم أخذ عنه الحافظ أبو بكر البيهقي فأكثر عنه، وبكتبه تفقّه قال ابن عساكر: وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس ما يبلغ ألفًا وخمسمائة جزء. منها: تاريخ نيسابور، وهو صاحب المستدرك على الصحيحين قال فيه السبكي: وهو عندي من أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة ومن نظره عرف تفنن الرجل في العلوم جميعها[2].

٢. **أبو بكر ابن فورك**: هو الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي النحوي الواعظ الأصبهاني[3]، ولم تذكر المصادر سنة ولادته، أقام بالعراق، ودرس فيه مذهب الأشعري ثم رحل إلى مدينة الري، وأراد

---

(١) تاريخ الإسلام: ١٧٢/٣٣.

(٢) ينظر: الأوهام الواقعة في أسماء العلماء والأعلام: ٢١/١، وطبقات الشافعية، لابن قاضى شهبة: ١٩٤/١.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان: ٢٦٩/٤، وطبقات الشافعية: ١٢٧/٤.

به المبتدعة السوء فراسله أهل نيسابور أنّ يأتي إليهم، ففعل وقدم إليهم فبنوا له داراً ومدرسة، وقد أحيا الله به العلوم في المدينة، وتخرجت ببركته جماعة من المتفقهة [1]. وقد مات مسموماً بعد أن رجع من مدينة (غزنة) وهي مدينة في أوائل الهند، بعد ما أجرى مناظرة قوية ردَّ بها على المبتدعة، ولّما وصل نيسابور دسوّا له السُمَّ في الطعامِ فمات شهيداً سنة ٤٠٦هـ[2].

٣. **أبو علي الدقاق** الحسن بن علي بن محمد أبو علي الأستاذ الدقاق الزاهد النيسابوري، شيخ الصوفية وشيخ أبي القاسم القشيري. توفي في ذي الحجة سنة ٤٠٦هـ، وقيل سنة اثنتي عشرة وأربعمائة والله أعلم[3].

٤. **أبو عبد الرحمن السلمي**: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى، أبو عبد الرحمن النيسابوري. ولد سنة ٣٢٥هـ وتوفي ٤١٢هـ، كان إماماً كبيراً من أئمة التصوف، صنف لأهل التصوف، سنناً وتفسيراً، وتأريخاً، وله بنيسابور دويرة معروفه لهم[4].

٥. **أبو نعيم الإسفراييني**: عبد الملك بن الحسن بن محمد بن إسحاق بن الأزهر الأزهري. أبو نعيم الإسفراييني. روى عن خال أبيه الحافظ أبي عوانة كتاب الصحيح المسند واحتاط له خاله في سماعه؛ فبارك الله في عمره حتى سمعه الأئمة واشتهر منهم الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل وكان رجلاً صالحاً ثقة توفي سنة ٤٠٠هـ[5].

---

(١) ينظر: تبيين المفتري: ٢٣٢، وطبقات الشافعية: ١٢٧/٤.

(٢) ينظر: وفيات الأعيان: ٢٧٢/٤-٢٧٣، طبقات الشافعية: ١٣١/١.

(٣) ينظر: الوافي بالوفيات: ١٧٩/٤، وطبقات الفقهاء: ١٤١/١.

(٤) طبقات الأولياء: ٥٣/١.

(٥) الوافي بالوفيات: ٢٤٦/٦.

المطلب الخامس: تلامذته

ومن أبرز تلامذته:

١. الخطيب البغدادي:

هو أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر الشهير بالخطيب البغدادي. ولد في بغداد، سنة ٣٩٢هـ وتوفي فيها سنة ٤٦٣هـ، أحد مشاهير الحفاظ والمؤرخين. كان حنبلي المذهب ثم أصبح شافعياً. رحل إلى البصرة، ونيسابور وأصبهان وهمذان والشام والحجاز. سمي الخطيب، لأنَّه كان يخطب بدرب ريحان [١]. لقد كان الخطيب رحمه الله على جانب كبير من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة والمناقب النبيلة. كان مخلصاً في عمله وتصنيفه، ورعاً متحفظاً غير متقرب لسلطان ولا لذي جاه، عفيف النفس، غير حريص على الدنيا، زاهداً فيها، متحملاً الأذى، كان متواضعاً، حتى إنَّه ما كانت تروق له الأسماء والألقاب كالحافظ والمحدث، كان كريماً معطاء، حريصاً على تطبيق العلم كحرصه على جمعه وضبطه وفهمه كان يقول: الواجب أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس أدباً، وأشد الخلق تواضعاً وأعظمهم نزاهةً وتديناً، وأقلهم طيشاً، وغضباً لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ وآدابه، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدثين، ومآثر الماضين، فيأخذوا بأجملها وأحسنها ويصدفوا عن أرذلها وأدونها[٢]. من تصانيفه: تاريخ بغداد.

---

(١) ينظر: طبقات الشافعية للسبكي: ١٢/٣، والبداية والنهاية: ١٠١/١٢، وشذرات الذهب: ٣١١/٣.

(٢) ينظر: معجم الأدباء: ٣١/٤، والتذكرة: ١١٣٨/٣.

٢. عبد الوهاب بن شاه الشاذياخي:

ابن أحمد، النيسابوري الشاذياخي الخرزي، ولد سنة ٤٥٣هـ، كان له حانوت يتبلغ فيه من بيع الخرز. سمع الصحيح من أبي سهل الحفصي، وسمع الرسالة من أبي القاسم القشيري، وسمع من أبي حامد الأزهري، وعبد الحميد بن عبد الرحمن البحيري، وحسان المنيعي، ونصر بن علي الحاكمي، وأحمد بن محمد بن مكرم، وأبي صالح المؤذن، وعدة، توفي في شوال سنة ٥٣٥هـ[١]، روى عنه السمعاني، وقال: كان من أهل الخير والصلاح[٢].

المطلب السادس: مصنفاته

صنف القُشيري مصنفات عديدة تدل بشكل جلي على سعة علمه، وأنَّهُ جمع بين علم الشريعة وعلم الحقيقة، وقد لاقت مصنفاتهُ إقبالاً في العالم الإسلامي، وربما كان ذلك بسبب إخلاصهِ ونقاء سيرتهِ.

فمن تلك المصنفات:

١. **لطائف الإشارات**: في تفسير القرآن وهو مطبوع بالقاهرة سنة ١٩٩٥.

٢. **الرسالة القشيرية**: في الأخلاق، وقد طبع أكثر من طبعة.

٣. **كتاب المعراج**: مطبوع في بانكيبور، وقد أخرجه وحققه الدكتور حسن عبد القادر، ونشر في القاهرة سنة ١٩٨٧.

٤. **كتاب التمييز في علم التذكير**: وهو مطبوع في استانبول والقيروان والقاهرة سنة ١٩٨٥.

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/٣٦.

(٢) ينظر: التحبير ١/٥٠١-٥٠٢.

٥. **التفسير الكبير**: ويسمى (التيسير في التفسير) وهو مخطوط وهو من أجود التفاسير وأوضحها كما زعم السبكي.

٦. **الأربعين في الحديث**: مخطوط في ليدن.

٧. **حياة الأرواح والدليل على طريق الصلاح والفلاح**: مخطوط بالاسكوربال.

٨. **كتاب القصيدة الصوفية**: وهو مخطوط بالقاهرة.

٩. **كتاب شرح أسماء الله الحُسنى**: وهو مخطوط في الموصل وفارس.

١٠. **كتاب التوحيد النبوي**: وهو مخطوط بالقاهرة.

١١. **كتاب اللمع**: وهو مخطوط بالقاهرة.

١٢. **كتاب الفصول في الأصول**: وهو كتاب في علم أصول الفقه وهو مخطوط بالقاهرة.

١٣. **كتاب ترتيب السلوك**: وهو مخطوط في الفاتيكان.

١٤. **عيون الأجوبة في فنون الأسئلة**: وهو مخطوط في مكتبة آزاد - الهند.

١٥. **نحو القلوب الصغير**: ذكره السبكي في الطبقات.

١٦. **نحو القلوب الكبير**: ذكره السبكي في الطبقات وحاجي خليفة في كشف الظنون.

١٧. **آدب الصوفية**: ذكره السبكي في الطبقات وحاجي خليفة في كشف الظنون.

١٨. **أحكام السماع**: ذكره السبكي في الطبقات وحاجي خليفة في كشف الظنون.

١٩. **المناجاة**: ذكره السبكي في الطبقات.

٢٠. **الجواهر**: ذكره السبكي في الطبقات.

٢١. **المنتهى في نكت أولي النهى**: ذكره السبكي في الطبقات وحاجي خليفة في كشف الظنون.

٢٢. **كتاب الفتوى**: ذكره السبكي في الطبقات.

٢٣. **شكاية أهل السُنة**: ذكره السبكي في الطبقات، وإسماعيل باشا في كتابه (هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين).

٢٤. **منثور الخطاب في شهور الألباب**: مخطوط ذكره إسماعيل باشا في كتابه (هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين).

٢٥. **ناسخ الحديث ومنسوخه**: مخطوط ذكره إسماعيل باشا في كتابه (هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين).

المطلب السابع: مكانة الرسالة القشيرية بين الكتب

تعدّ الرسالة القشيرية من أهم ما أُلِّفَ في علم التصوف، فهي موضوعة أصلاً لتأصيل قواعد التصوف الإسلامي الشرعي البعيد عن البدعة والخرافة والشطح والزيغ، وقد جاءت موضحة لما ينبغي أنْ يكون عليه سالك الطريق إلى الله تعالى، وتظهر مكانتها في مكانة مؤلفها الذي يعد علماً من أعلام المسلمين، وهو الأستاذ عبد الكريم بن هوازن القشيري، الذي يعد علم عصره، وما زاد من أهميتها كون المؤلف من المتقدمين تاريخياً، وهم الأعرف بالتصوف وتأصيله ونشأته، ويظهر ذلك في الأئمة الذين استشهد بأقوالهم، وما يعرف عن هؤلاء الأئمة من العلم والفضل.

كما تعد الرسالة من تراجم الصوفية التي ترجمت لكوكبة من المتقدمين والمشايخ المعروفين من أهل التصوف، فذكرت أصول عقائدهم ومقام الشريعة عندهم، وإرشادهم، ونصحهم للأمة في سلوك طريق مرضاة الله تعالى.

فإذا كانت رسالة الإمام الشافعي في أصول الفقه، هي الأساس في أصول الفقه لكل من جاء بعده، وألف في الأصول، وإذا كانت كتب سيبويه هي من أهم مراجع علم النحو فإنَّ الرسالة القشيرية هي من أعظم الأسس في التصوف، ومن أهم الينابيع التي سقت وتسقي من جاء بعده وألف في علم التصوف.

وذكر صاحب كشف الظنون عن الرسالة القشيرية: «وهي عمدة في هذا الفن»[1]. وقال السبكي وهو يصف انتشار وقبول الرسالة عند الناس: «الرسالة التي سارت مغرباً ومشرقاً»[2]، وقيل فيها: «أنّها ما كانت في بيت فَيُنكَبُ أهله، وأثنى عليها وعلى صاحبها غير واحد من الراسخين»[3] **قلت**: هذا المدح فيه نظر، وذلك أن القرآن الكريم ربما يكون في بيت فيصاب أهل ذلك البيت بمصيبة، وبالأخص لو لم يعمل الإنسان بهديه: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

(١) كشف الظنون: ٨٨٢/١.

(٢) طبقات الشافعية: ١٥٠/٣.

(٣) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، محمد بن جعفر الكتاني، دار البشائر الإسلامية- بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦-١٩٨٦ تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني: ١٦٦/١.

• ثانياً: الشيخ عبد القادر الجيلاني (قدس سره):

المطلب الأوّل: اسمه ونسبه

هو أبو صالح محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيي الزاهد ابن محمد بن داود بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ.

أمه هي أم الخير فاطمة بنت الشيخ عبد الله الصومعي الحسني الزاهد. فهو حسني من جهة الأب، حسيني من جهة الأم. وعمته الشيخة الصالحة أم عائشة.

ولقد طعن في نسب الشيخ على مر العصور العديد من المؤرخين، وأنكروا انتمائه لعترة الحسن ﷺ سبط الرسول الخاتم سيدنا محمد ﷺ، وهذا الجحود سببه يعزى إلى كلمة جنكي دوست التي وردت في نسب الشيخ عبد القادر، والتي تعني العظيم القدر، والرجل المحب للقتال، والمتهيأ دوماً للترال، لقد رسخ في أذهان هؤلاء المؤرخين أنَّ تلك الكلمة التي لا تمت للعروبة بصلة ولا تصل إليها بسبب، تبرهن بجلاء بأنَّ الشيخ أصوله أعجمية، ولقد تصدى لهؤلاء المؤرّخين العديدُ من المحبين والمنصفين، ففندوا مزاعمهم، وأبطلوا حججهم، وكان في طليعة هؤلاء المدافعين حديثاً الشيخ محمد المكي بن عزوز التونسي المتوفى عام ١٩١٦م، في رسالته الموسومة بـــ«السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني»[1].

---

(١) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ١١-١٨. وقد ذكر في هذه الرسالة أنّ هناك أكثر من ستين من العلماء النسّابين، والمحققين البارعين، أقروا باتصال نسب الشيخ عبد القادر بالحسن ﷺ.

المطلب الثاني: مولده ونشأته

ولد الشيخ عبد القادر عام ٤٧٠هـ- ١٠٧٧م على رأي معظم الذين أرخوا لحياته، وكانت ولادته في جيلان أو كيلان فعرف بالجيلاني أو الكيلاني، أو الجيلي. وجيلان إقليم فارسي يقع في الجنوب الغربي لبحر قزوين، اشتق اسمها من الجيالي بمعنى الوحل، وذلك لكثرة المستنقعات التي تغمر الإقليم.

ويبدو أن الشيخ الذي ضربت شهرته الآفاق كان آخر أولاد أبويه، لأنَّه عاش يتيماً، فقد توفي أبوه بعد ولادته بقليل لذلك عاش في كنف جده لأمه السيد عبد الله الصومعي فكان ينسب إليه عندما كان في جيلان فيقال: ابن الصومعي. وكان آخر أولاد أمه؛ لأنَّها حملت به قبيل سن يأسها بقليل، حتى قال محمد بن يحيي التادفي في (قلائد الجواهر) إنَّها حملت به وهي في الستين من عمرها[1].

ونشأ الشيخ عبد القادر في كنف أمه التقية النقية، وجدّه العابد المتحنث، الذي رباه على التقوى والصلاح ومكارم الأخلاق، فأخذ بخلائقهم، واقتبس من خلالهم، ومضى على منوالهم في الزهد والتفاني في العبادة وطاعة الرب ﷻ ومراقبته في السر والعلن.

كان الشيخ عبد القادر في بواكير صباه تواقاً للعلوم، مشرئباً للمعرفة، وكان غاية آماله، وحديث أمانيه، أن يلم بأصول الشريعة الإسلامية، ويحيط بمداخلها ومخارجها. وأزمع الشيخ عبد القادر في قرارة نفسه السفر لحاضرة الدنيا ومنارة العلوم بغداد؛ لأنَّ بلاد جيلان التي مكث فيها ثمانية عشر عاماً تفتقر لما يروي ظمأه، ويشفي غليله، ولقد نسج محبوه له العديد من الخوارق

---

(١) ينظر: إتحاف الأكابر في سيرة ومناقب الإمام محيي الدين عبد القادر: ١٨٦.

والكرامات، وهو في هذا العمر الغض، والسن المبكرة، وأحاطوا تلك الفترة بهالة عظيمة من المعجزات التي لا تتسنى لطفل ما زال في معية الصبا، وطراءة السن، أذكر منها انقطاعه عن الرضاعة في نهار رمضان، والانكباب على ثدي والدته ليلاً، وحديث الثور له عندما كان يسير في البراري وإبلاغه بأنه لم يخلق ليكون فلاحاً، ومشاهدته للحج الأكبر من سطح بيته، ولعل قول الحافظ ابن كثير رحمه الله عنه فيه من الإنصاف؛ إذ قال: كان له سمت حسن، وصمت غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان فيه زهد كثير، وله أحوال صالحة ومكاشفات، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالة، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً، ومكاشفات أكثرها مغالة، وقد كان صالحاً ورعاً، وقد صنّف كتاب الغُنيّة، وفتوح الغيب، وفيهما أشياء حسنة، وذكر فيهما أحاديث ضعيفة، وبالجملة كان من سادات المشايخ[1].

سافر الشيخ عبد القادر إلى بغداد عام ٤٧٧هـ-١٠٩٥م، وهي السنة التي خرج فيها حجّة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي تاركاً التدريس في النظّامية، زاهداً في الدنيا، طالباً للمعرفة واليقين، لقد كانت بغداد في عصر الشيخ عبد القادر عنواناً لحضارة عالمية، بما تضمنته من تنوع وثراء؛ فكانت مجمعاً للعلماء والفلاسفة، ومركزاً للفقهاء والمفسرين والمحدّثين، ومنتدى الشعراء والكُتّاب، وأصحاب التراجم والسير والتاريخ، ومحراباً للزّهّاد والصوفية، فلا عجب أن تكون محط أنظار جميع المستنيرين طلباً للمعرفة واليقين، وممارسة التجربة الروحية تحت أنظار مشايخها المشهورين[2].

---

(١) ينظر: البداية والنهاية: ٧٩/٨.

(٢) ينظر: الشيخ عبد القادر الجيلاني حياته وأدبه، مقال الكتروني في مجلة رأي اليوم.

وتخبرنا الكتب المعتّقة أنَّ القافلة التي كانت تقله قطع عليها الطريق مجموعة من الأشرار الذين تتحلب أفواههم للمال، ولمّا كانت هيئته ومنظره لا يوحي بأنَّه سليل عز وربيب غنى أراد قاطع الطريق أن يمرّ عليه مرور الكلام فسأله ذلك السؤال الذي ألِفهُ ثغره دون أن يحفل بجوابه عما يحمله من مال، فتفاجأ بإجابة الصبي الذي طرّ شاربه بأنَّه يحمل في معيته أربعون درهماً ذهبياً أودعتها أمه في كمّه، بعد أن عاهدها بأغلظ الأَيمان أنَّه لن يكذب أبداً ولن يفعل ما يغضب الرب ﷻ ويصيب الأخلاق في مقتل، وظنّ اللص أنَّ الصبي يستخف به بعد أن توثق من صدقه سأله عن السبب الذي دفعه لذلك، فأخبره عن كنه العهد الذي قطعه لأمه، العهد الذي جعل زعيم اللصوص يقلع عن ترويعه للناس، وسلب أموالهم فيما بعد، حينما رأى فتاً جاوز حد الصغر، وبلغ سن الرشد، يخبره عن جل ماله في وداعة حتى يبرّ بالعهد الذي عاهد به أمه التي تقاسمت معه تركة والده، تلك الأم التي آثرت أن تعطيه الثمانين ديناراً برمتها لولا رفضه، فهو يعلم حياة الضنك والفاقة التي تعيشها، فذهل اللص من ذلك الوفاء، واغرورقت عيناه بالدموع، واهتز صدره الموبوء بجراثيم الضغائن والحقود من فرط البكاء، وأزمع التوبة بعد أنّ رأى الفتى اليافع يتهافت في الحفاظ على وصية والدته غير آبه ولا مهتم بضياع كل ما يملك، بينما هو وثلّته منذ عهود خلت سلكوا سبيل الردى والعناد، وتركوا سبيل الهدى والرشاد، قطعوا الطريق، وروعوا الآمنين، وأقدموا على فعل ما يجر غضب الله وسخطه، فأعلن توبته وصدع بها أمام جماعته الذين حذوا حذوه، وتحروا طريقته[1].

---

(١) ينظر: الشيخ عبد القادر الجيلاني موقع دار الفتوى الأوربي.

وصل الشيخ عبد القادر بغداد في زمن الخليفة المستظهر، وأمضى فيها ثلاثاً وسبعين سنة، شهد فيها حكم خمسة من الخلفاء العباسيين هم المستظهر بالله والمسترشد (حكم من سنة ٥١٢ إلى سنة ٥٢٩هـ) والراشد (حكم من ٥٢٩ إلى ٥٣٠هـ) والمقتفي (حكم من ٥٣٠ إلى ٥٥٥هـ) والمستنجد (حكم من سنة ٥٥٥ إلى ٥٦٦هـ)[1].

ولعّل ما لا يند عن ذهن أو يغيب على خاطر أنَّ الدولة العباسية في تلك الحقبة قد تقوضت أركانها، ووهت دعائمها، و لم يبقَ لها من الحكم سوى اسمه، وأن مقاليد الأمور كانت بيد السلاطين السلاجقة. ولقد شهدت تلك الفترة حروباً طاحنة وبلبلة وفوضى واضطراب، فالكل كان يروم الوصول إلى سدة الحكم. وقاطنو بغداد تكالبوا على الدنيا، وآثروا الفانية على الباقية، بعد أن شغلتهم زخارفها وشهواتها عن مروج مصقولة الحواشي، وجنة وارفة الظلال. ولقد رأى الشيخ عبد القادر ببصيرته التي كانت تؤثر جانب الكمال على جانب النقص، أن الشهوات تؤنس جُلاسها بوجهها المتهلل، وتستبهم عليهم معالم القصد، وأن الشباب الذين هم في سنّه يهيمون في أودية الضلال، ويتسكعون في بيداء الغواية، فأقبل على العلم بهمة ماضية، وحرص شديد، وفي سبيل تحصيله، عانى كثيراً من المتاعب، ومن أشدها الفاقة والفقر، فلقد انقضى كل ما كان لديه من مال، فصار لا يجد ما يقتات به، مهما كان قليلاً، ووصل به الحال أن صار يقتات بما يجده في ضفاف دجلة، من قمامات البقل وورق الخس، وثمار الخروب، وصار يمشي حافي الرجلين في الرمال والأحجار، و لم يكن له مسكن يخصه، وصار يتعرض لأمراض تهدد حياته. بل

(١) ينظر: أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته: ٣٠-٣١.

إنّه في بعض الفترات ظن من رأوه في الطريق أنَّه مات، فأرادوا أن يدفنوه في المقبرة، ولكن الله ﷻ لطف به فتحرك جفنه قبل أن يواروه التراب.

وعن تلك الفترة العصيبة يخبرنا بأنَّه بقي أياماً لم يتناول فيها ما يسد الرمق، ويدفع غائلة الغرث والجوع، فذهب يتتبع المنبوذات ليأكلها، فكان من حظه العاثر لا يذهب إلى موضع إلا ويجد غيره قد سبقه إليه، حتى وصل في نهاية المطاف إلى مسجد ياسين بسوق الرياحين فدخل وقد كاد أن يتنسم أريج الموت، يقول الشيخ عبد القادر واصفاً تلك الفترة الحالكة فإذا بشاب أعجمي يدخل ومعه خبز وشواء، وجلس يأكل فرآني، فقال: بسم الله يا أخي، فأبيت، فأقسم عليّ، فبادرت نفسي فخالفتها، وأقسم أيضاً فأجبته فأكلت، فقال: من أين أنت؟ وما شغلك؟ قلت: أنا متفقه من جيلان، فقال: وأنا من جيلان، فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى عبد القادر الزاهد؟ فقلت: أنا هو. فاضطرب وتغير وجهه، وقال: والله، لقد وصلت إلى بغداد ومعي بقية نفقة لي، فسألت عنك فلم يرشدني أحد ونفدت نفقتي، ولي ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي إلا مما كان لك معي، وقد حلت لي الميتة، فأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء، فكل طيباً فإنَّما هو لك، وأنا ضيفك الآن بعد أن كنت ضيفي. فقلت له: وما ذاك؟ فقال: أمك وجهت لك معي ثمانية دنانير. فطيبت نفسه ودفعت إليه باقي الطعام وشيئاً من الذهب، فقبله وانصرف[1].

المطلب الثالث: صفاته الخلقيّة

كان الشيخ عبد القادر الجيلاني أنزل الله على قبره شآبيب رحمته كما وصفته لنا أمهات الكتب يميل إلى الطول، وتبدو عليه أمارات النبل والاستقامة،

---

(١) ينظر: الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة: ٢٣-٣٠.

عريض الجبهة، يميل لونه إلى السمرة، ويصل شعره إلى كتفيه، عريض المنكبين، متناسق الأعضاء، عذب الصوت، جهور به، ذو نطق متميز، ونظرات حادة ثاقبة تجعل من الصعب على جليسه أن يديم النظر إليه، ذو لحية طويلة متوسطة الكثافة دقيقة النهاية، هيئته العامة توحي بالبساطة والطيبة والنبل والجمال.

كما كان قوي البنية، وثيق التركيب، مرير القُوى، متين العصب، والدليل على ذلك أنّه سقط في نهر دجلة في ليلة شاتية شديدة الصّرد، وكان عليه جبة من الصوف، فعصرها ثم لبسها ومضى في حال سبيله، ولم ينتابه ما ينتاب غيره من اصطكاك الأسنان، وارتعاش الأوصال، وفي ذلك يقول ابن النجار في تاريخه: سمعت أبا محمد يقول: كنت أدخل على الشيخ عبد القادر في وسط الشتاء وقوة برده، وعليه قميص واحد، وعلى رأسه طاقية، والعرق يخرج من جسده، وحوله من يروحه بالمروحة كما يكون في شدة الحر[1].

كان الشيخ عبد القادر الجيلاني، نبيل النفس، حُرّ الخلال، محمود الشمائل، متجاف عن مقاعد الكبر، وكان من فرط تواضعه أنّه يقف للصغير والجارية، وذلك مع علّو قدره، وعظمة منـــزلته، كما كان يجالس الفقراء ويفلي ثيابهم، ولا يقوم لأحد من العظماء وأعيان الدولة[2]، ولا يلم بباب وزير ولا سلطان. كما كان صدّاعاً بكلمة الحق لا يخشى في الجود بها لومة لائم، وكان من شدة شجاعته ينتقد كل من جنح بعيداً عن شط الحقيقة، ونأى عن جادة الصواب، ولا يحفل بمكانته أو مركزه، فالشريف والوضيع سيان عنده، لذا نجده قد انتقد الخلفاء، والأمراء، وعلية القوم، ولعل خير مثال نستشهد به هنا حينما

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٢٠/٤٤٩.

(٢) ينظر: الشيخ عبد القادر الجيلاني حياته وأدبه: ٤٧.

خطب في الجمعة موجهاً استنكاره ولومه للخليفة المقتفي لأمر الله الذي ولى القضاء يحيي بن سعيد المعروف بابن المرجم، فقال له: ولّيت قضاء المسلمين أظلم الظالمين فما جوابك غداً عند رب العالمين أرحم الراحمين، فارتعد الخليفة وبكى، وعزل القاضي المذكور لوقته[1].

كما عنّف بعلماء البلاط الذين يؤولون أحكام الشريعة لكي تتوافق مع أهواء السلطان، ومن المآخذ على الشيخ عبد القادر الجيلاني أنَّ وعظه كان يتسم بالخشونة والشدة، والوعظ ينبغي أن يُقدم باللطف واللين، حتى تعم المنفعة، وتسود العدالة لتشمل جوانب الأرض، وخوافق السماء، ونحن إذا جشمنا أنفسنا عناء التعليل، لقلنا أنَّ الشيخ كابد لأواء الحياة وقسوتها منذ نعومة أظفاره، فأضحت تلك الخشونة التي داهمته منذ الصغر ممتزجة بخلقته، مؤثلة في فطرته، كما أن الشيء الذي دفعه إلى هذا الأسلوب هو شدة حرصه على تقويم الاعوجاج وإصلاح من لجّ في غوايته، وأوغل في عمايته. ونجد أنَّ الشيخ قد اعتذر عن هذه الشدة بقوله: ما بيني وبينك عداوة، غير أنّي أقول الحق، ولا أحابيك في دين الله ﷻ. قد تربيت على خشونة كلام المشايخ، وخشونة الغربة والفقر، إذا ظهر مني إليك كلام فخذه من الله ﷻ، فإنه هو الذي أنطقني. لأجل ذلك تضام الناس على الشيخ عبد القادر الجيلاني يقبلون يديه ويبالغون في تبجيله والحفاوة به، ويحثّون مطاياهم بالزجر والضرب لحضور مجلسه[2].

---

(١) ينظر: زهرة البساتين من مواقف العلماء والربانيين: ٣١٦.

(٢) ينظر: الشيخ عبد القادر الجيلاني وأعلام القادرية: ٢٧-٤١.

المطلب الرابع: مذهبه وعقيدته

كان الشيخ عبد القادر حنبلي المذهب، أما عقيدته التي درج عليها و لم يحيد عنها قيد أنملة حتى وافاه الأجل هي، الإتباع بدون ابتداع، والتقيد بالكتاب والسنة في كل حال، وكان يكثر من ذكر ذلك في مجالسه ودروسه، وفي خطبه ومواعظه، وفي كتبه ووصاياه.

وأثر عنه قوله لأصحابه: اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تخالفوا، واصبروا ولا تجزعوا، وانتظروا ولا تيأسوا.

وقال أيضاً: لا تبتدع وتحدث في دين الله ﷻ شيئاً لم يكن، اتبع الشاهِدَيْن العَدْلين الكتاب والسنة، فإنَّهما يوصلانك إلى ربك ﷻ، وأما إن كنت مبتدعاً فشاهداك عقلك وهواك، فلا جرم يوصلانك إلى النار ويلحقانك بفرعون وهامان وجنودهما، لا تحتج بالقدر فلا يقبل منك: لابد لك من الدخول إلى دار العلم والتعلم ثم العمل ثم الإخلاص[1].

ومما يبرهن أنّه كان راسخ الإيمان، ثابت اليقين، لم يلتفت إلى الفتن والمغريات التي تستهدف دينه، ما حدّث به ابنه موسى قال سمعت والدي يقول: خرجت في بعض سياحاتي إلى البرية ومكثت أياماً لا أجد ماءً فاشتد بي العطش، فأظلتني سحابة، ونزل عليّ منها شيء يشبه الندى فرويت، ثم رأيت نوراً أضاء به الأفق، وبدت لي صورة، ونوديت منها: يا عبد القادر أنا ربك وقد أحللت لك المحرمات، أو قال: ما حرمت على غيرك، فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اخسأ يا لعين، فإذا ذلك النور ظلام، وتلك الصورة دخان، ثم خاطبني وقال: يا عبد القادر نجوت مني بعلمك بحكم ربك وقوتك في أحوال منازلاتك،

---

(١) ينظر: الموسوعة الصوفية: ٥٤٢.

ولقد أللت بهذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، فقلت: لربي الفضل والمنة، قال: فقيل له: كيف علمت أنَّه شيطان؟ قال: بقوله: قد حللت لك المحرمات[1].

ولعل من الأشياء التي لم ينضجها بحث أو تصاحبها رويّة، وقوع بعض من استرخى في أيديهم عنان القلم في أخطاء لا ترد إلا ممن غالى في محبّة الشيخ عبد القادر، ونسب إليه من فرط حبه كرامات وخوارق لا تناط بها ثقة، ولا يخلد إليها بيقين، لأنَّها بعبارة مبسطة ترفعه من أكناف الأرض إلى خوافق السموات، وتجعل المرء يعتقد فيه، ويتعصب له، ويدعو إليه، للشيخ عبد القادر تغمده الله وإيانا برحمته كرامات بعضها حقيقي، وبعضها خرافي؛ من تلك الكرامات الخرافية التي يذهل العقل عن تصديقها ما نُقل عن الشيخ عبد القادر أنه قال على كرسي وعظه ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي. وأنَّ العلماء علموا بهذا في جميع الأقطار فحنوا رؤوسهم مذعنين له خاضعين. وزعم البعض أنّ هذه الكلمة تنبئ بعلو كعبه على جميع الأولياء. ومثال ذلك أيضاً قوله أنّه أُعطِيَ سجلاً فيه أسماء مريديه وأتباعه، وأنَّهم وُهبوا له، وأنَّه لا يبرح الموقف حتى يأخذهم معه إلى الجنة. وقوله: أنا أحفظ مريدي في غيبته وحضوره، ومريدي لا يدخل النار. وقوله للميت: قم بإذني.. إلى غير ذلك من الأقوال المدسوسة التي يقصد بها إعلاء شأن الشيخ ورفع منزلته بين أعيان الأمة من أولياء وأتقياء، وبيان أنَّ فضل الله قد انحصر فيه، وفي أتباعه الذين هم خير الناس وأفضلهم، وأقربهم إلى الله وأحبهم إليه كيفما كانوا. ولا يمكن أن تصدر هذه الأقوال عن الشيخ؛ لأنَّ فيها ما يهدم منار التوحيد، ويضر بالعقيدة، وفي الوقت نفسه لا ينطبق على ما عُرف من سيرته وما نُقل عنه[2].

---

(١) ينظر: الموسوعة الصوفية: ٥٤٣.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ١٢/٤٥٤.

المطلب الخامس: شيوخه وتلاميذه

كان الشيخ عبد القادر الجيلاني شغوفاً بالعلم، جاداً في تحصيله، مقبلاً عليه بهمة تنطح النجوم وتفل الجبال، ولقد ساعدته عزيمته النافذة، وشكيمته التي تستصغر عظائم الأمور، في ترويض الصعاب، وتخطي رقاب الموانع، الأمر الذي يسّر له أن يتقن في اليوم ما يتقنه أقرانه في أسبوع، تجده دائماً يضطرب في مجالس العلم، متنقلاً من مجلس إلى آخر، تدفعه نفسه التوّاقة إلى الاستزادة والتعمق، فمثل هذه النفس التي عظم قدرها، وارتفعت منزلتها في العيون، لا تركن إلى القليل والسطحي منه، انكبَّ الشيخ عبد القادر على العلم حتى أتقن جميع العلوم التي كانت سائدة في عصره، وكان من جملة الذين أخذ عنهم الحديث أبو غالب الباقلاني، وجعفر السراج، وأبو بكر بن سوسن، وابن بيان، وأبو طالب بن يوسف، ومن الذين أخذ عنهم الفقه القاضي أبو سعيد المخزامي، وأبو الخطاب الكلوذاني، وبن عقيل، ومن الذين أخذ عنهم الأدب زكريا التبريزي[1].

كما نجده قد أخذ علم التصوف عن الشيخ حماد بن مسلم الدباس، ولبس خرقة التصوف من القاضي أبي سعيد المخزمي، ثم حبب إليه شيخه حماد الدباس المجاهدات والرياضيات، وكان هذا الشيخ قدوة لمشايخ بغداد، فساح الشيخ عبد القادر في صحراء العراق ملازماً الخلوة والمجاهدة، متحملاً المشاق في مخالفة النفس، ومحاربة الهوى، وملازمة السهر والجوع، والمقام في الأماكن المنعزلة، مقبلاً على الاشتغال بالعبادة وتلاوة الأذكار، وكذا نجد أن الشيخ عبد القادر قد جمع بين الدراسة العلمية والرياضة الروحية، وقد استمرت فترة الدراسة والتحصيل عنده ما يقارب ثلاثة وثلاثون عاماً، لا نلم بالكثير من تفاصيلها؛ لأنَّه أمضى قسماً كبيراً منها بعيداً عن الناس وعن الدراسة والتحصيل في

---

(١) ينظر: إتحاف الأكابر: ١٦٨.

خرب المدائن، وإيوان كسرى، وغيرها حتى كان يدعى بعبد القادر المجنون. ولعل الشيء الذي ينبغي عليّ ذكره أن الشيخ عبد القادر الجيلاني تغمده الله برحمته وشمله بعفوه انصب أكثر اهتمامه على دراسة المذهب الحنبلي ثم درس معه المذهب الشافعي أيضاً. ودام هذا الدرس والتحصيل ثلاثاً وثلاثين سنة، ولكنَّه لم يكن متصلاً، بل متقطعاً بحسب الظروف والأحوال[1].

أما تلاميذه الذين نهلوا العلم على يديه فهم من ذوي الشهرة والنباهة، وممن حدث عنه: السمعاني، وعمر بن علي القرشي، والحافظ عبد الغني، والشيخ موفق الدين ابن قدامة، وولداه عبد الرزاق وموسى، والشيخ علي بن إدريس، وأحمد بن مطيع الباجسرائي، وأبو هريرة محمد بن ليث الوسطاني، وأكمل بن مسعود الهاشمي، وأبو طالب عبد اللطيف بن محمد القبيطي، وروى عنه بالإجازة الرشيد أحمد بن سلمة وصحبه الشيخ السهروردي، ويذكر السمعاني أنَّه قرأ عليه كتاب أخبار مكة للأزرقي، وبعض جزء من كتاب الجامع الصحيح لأبي حفص البيجري[2].

وسأترجم لبعض من أخذ عنهم الشيخ عبد القادر ممن سبق ذكرهم وبحسب ما توافر في كتب السير والتراجم.

١. شيخه أبو سعيد: المبارك بن علي المخرمي شيخ الحنابلة، وهو الذي بنى مدرسة في باب الأزج وجلس فيها للتدريس ثم تولى المهمة بعده تلميذه عبد القادر، وكانت وفاة أبي سعيد عام ٥١٠هـ- ١١١٦م[3].

---

(١) ينظر: إتحاف الأكابر: ١٦٩.

(٢) ينظر: الشيخ عبد القادر الجيلاني ودوره في الدعوة الإسلامية في أنحاء العالمين الأسيوي والأفريقي: ٦٨-٧٣.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٤٨٢/١٩.

٢. أبو الوفاء علي بن عقيل بن عبد الله البغدادي شيخ الحنابلة في عصره، وصاحب التصانيف وصفه الذهبي بقوله: (بحر المعرفة)[١].

٣. حماد بن مسلم الدبّاس، وكان على درجة عالية من العلم والاستقامة، وقد تحدّث عنه ابن تيمية إذ ذكره وتلميذه الجيلاني بقوله: فأمر الشيخ عبد القادر وشيخه حماد الدباس وغيرهما من المشايخ أهل الاستقامة ﷺ بأنَّه لا يريد السالك مرادًا قطُّ، وأنَّه لا يريد مع إرادة الله ﷻ سواها بل يجري فعله فيه فيكون هو مراد الحق[٢].

٤. أبو محمد جعفر بن أحمد البغدادي السراج محدّث بغداد، وصاحب التصانيف كان من يلتقي به من التلاميذ، ويأخذ عنه يتفاخر بذلك وتصبح هذه منقبة له بين طلبة العلم[٣].

٥. أبو عبد الله يحيى بن الإمام أبي علي الحسن بن أحمد بن البّناء البغدادي الحنبلي، وكان من أكثر من أثنى عليه من العلماء وذكروا فضائله كبنائه للمساجد[٤].

يلاحظ من ذكر هؤلاء أنَّ الإمام عبد القادر الجيلاني قد أخذ فقه الحنابلة عن أكثر من شيخ مما جعله على قدر كبير من العلم والإحاطة بفروع المذهب واجتهادات أئمته ومصنفاتهم في ذلك.

---

(١) ينظر سير أعلام النبلاء: ١٩/٤٤٦

(٢) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٠/٤٥٥.

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/٢٢٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠/٦.

المطلب السادس: آثاره ومناقبه

خط يراع الشيخ العديد من المؤلفات الجامعة لشتيت الفوائد، تمتاز هذه المؤلفات بالفهم العميق لأهداف الشريعة الإسلامية ومراميها، والأسلوب الناصع البيان، الذي لا يحتاج إلى كد ذهن، ولا إرهاق خاطر. ومؤلفات الشيخ وضعت العلاج الناجع للمشاكل التي تفاقم شرها، واستطار أذاها، في عصره. وأشهر هذه المؤلفات:

١. الغنية لطالبي طريق الحق ﷻ. وهو جزءان، يتناول الجزء الأول الآداب الشرعية التي يجب أن يتحلى بها المؤمن، وكيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كما يتناول الأدلة على وجود الله، ورأي الفرق الإسلامية المختلفة في مسألة خلق القرآن. أما الجزء الثاني فإنَّه يتناول أركان الإسلام من الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والحج وفضائلها. والقسم الأخير من هذا الجزء مخصص لآداب المريدين والسالكين لطريق التصوف، مع التعريف بمقامات وأحوال الطريق.

٢. الفتح الرباني والفيض الرحماني؛ وهو المواعظ التي كان يلقيها على تلاميذه في مدرسته ببغداد.

٣. فتوح الغيب.

٤. الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، جمع الشيخ محمد سعيد القادري.

٥. وهناك العديد من المؤلفات المنسوبة إلي الإمام الجيلاني، انفردت مصادر عديدة بإشارات مفردة إليها، ومعظمها إما مخطوط أو مفقود.. ومن هذه المؤلفات:

٦. الكبريت الأحمر.

٧. جوهرة الكمال.

٨. جواهر الرحمن.

٩. درر المعاني.

١٠. يواقيت الحكم.
١١. معراج لطيف المعاني.
١٢. تحفة المتقين وسبيل العارفين.
١٣. المواهب الرحمانية.
١٤. تنبيه الغبي إلى رؤية النبي.
١٥. بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطفوني (ت٧١٣هـ) طبعة دار الكتب العربية، القاهرة ١٣٣٠هـ.
١٦. خلاصة المفاخر في اختصار مناقب الشيخ عبد القادر لليافعي (ت٧٦٨هـ).
١٧. قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر للتنادفي (ت٩٦٣) طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٥١م[1].
١٨. وهذه المؤلفات، وغيرها مما ينسبه المفهرسون للإمام الجيلاني، تشير إلى مدى الاضطراب الواقع حول آثاره. وهو الاضطراب الذي كان سببه الأول: خراب مدرسة الإمام الجيلاني عدة مرات عند سقوط بغداد بأيدي المغول سنة ٦٥٦هـ، وعند احتلال الصفويين لها بقيادة إسماعيل الصفوي سنة ٩١٤هـ، بعد ذلك بسنوات، وعند غرق بغداد سنة ١٢٤٦هـ. ولولا ذلك، لظلّ تراث الإمام محفوظاً بمدرسته، ولكان تحديد مؤلفاته بدقة تامة عملاً ميسوراً.

المطلب السابع: وفاته

أدرج الشيخ في قبره سنة ٥٦١هـ إثر علّة لم تمهله طويلاً، فالشيخ عبد القادر طوال حياته العامرة بالعطاء، والحافلة بالتقى والعبادة، لم يمرض مرضاً شديداً يجعله يتورك عن الحركة، سوى المرض الذي فاضت فيه روحه، ولم يدم غير يومٍ وليلة.

---

(١) ينظر: ديوان عبد القادر الجيلاني القصائد الصوفية والمقالات الرمزية: ٣٠٧- ٣٠٩.

وكانت وفاة الإمام بعد عتمة ليلة السبت، عاشر ربيع الآخر، وقد جاوز التسعين من عمره، وقد سأله ابنه عبد الوهاب النصيحة فقال: عليك بتقوى الله، ولا تخف أحداً سوى الله، ولا ترجُ أحداً سوى الله، وكِلَ الحوائج إلى الله، ولا تعتمد إلا عليه، وأطلبها جميعاً منه، ولا تثق بأحد سوى الله[1].

وفي يوم وفاته سأله ابنه الشيخ عبد الجبار ماذا يؤلمك من جسدك، فقال ﷺ: جميع أعضائي تؤلمني إلا قلبي فما به ألم وهو مع الله ﷻ، وبدأ يردد: استعنت بلا إله إلا الله، ﷻ هو الحي الذي لا يموت، ولا يخشى الفوت، سبحان من تعزّز بالقدرة، وقهر عباده بالموت، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقد تعذر عليه التلفظ بكلمة: تعزز، فظل يرددها حتى تلفظ بها، ثم أخذ يردد: الله، الله، الله، حتى خفي صوته ولسانه ملتصق بسقف حلقه، ثم خرجت روحه الكريمة رضوان الله تعالى عليه.

والشيخ عبد القادر الذي تزوج أربعة نساء في حياته ترك تسعة وأربعين من الأبناء منهم سبعة وعشرون ذكوراً، والباقي إناث، كما ترك ألاف المريدين الصادقين الذين ساروا على نهج الطريقة التي وضعها لهم، واستمرت وتيرة الحركة القادرية على ذات النسق رغم تعاقب القرون، وتفاوت الأزمان، تحتفي بذكر مؤسسها، وتتدفق بين رحاب العالم حتى صارت من أوسع الطرق الصوفية في العالم الإسلامي[2].

(١) ينظر: الطريقة القادرية أصولها وقواعدها بيروت: ١٧٤.

(٢) ينظر: عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب: ٦٨-٧٥.

خاتمة البحث

بهذا العرض السريع للتصوف وعقائد المتصوفة وأحوالهم التعبدية في مجال الفكر الإسلامي، يظهر لنا أنَّ كلمة تصوف أطلقت على عدد من العقائد والأفكار بعضها صحيح، وهو منحصر في كبار شيوخهم السلفيين في اعتقادهم، وبعضها الآخر بدعي كالصوفية المنتسبين للأشعرية، وبعضها كفر وزندقة وهم صوفية وحدة الوجود، مما يجعلنا بحاجة عندما نحكم على مسمى هذا الاسم بعد الاصطلاح للاستفسار عما يدخل تحته من مذهب عقدي أو تعبدي، وهو مقتضى العدل في نظري؛ لأني رأيت أكثر من يكتب عن التصوف إما يميل إلى أن يجفوا فيحكم بالبدعية وربما بالزندقة على أوائلهم وأواخرهم، ومنهم من يغلو فيزكي الأول والآخر، والعدل هو الوسط الذي هو سمة هذه الأمة المحمدية قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

- والصوفيون المعاصرون لا يخرجون على ما عليه الصوفية المتأخرون من العقائد والأفكار فهم صوفية طرقية جارية على الطرق قبلهم، وإن كانت الطرق الصوفية أخذت جانباً جديداً وهو الجانب الحزبي؛ وذلك بإنشاء مشيخة للطرق الصوفية في الأزهر ومجلس أعلى عالمي في لندن وصاروا يستفيدون من معطيات عصرهم في نشر تصوفهم، بل إنَّ الاستعمار واليهودية العالمية بجميع منظماتها تسعى لنشر التصوف غير المنضبط بضابط الدين والشريعة المعتمد على التطرف والغلو وعبادة الرموز والأشخاص والعناية به؛ لأن ذلك يخمد نار الغيرة الإسلامية في نفوس المسلمين ويقضي على الدافع الفكري التنويري في

نفوسهم، ومن ثم استسلامهم للواقع المر والتبعية للشرق والغرب الكافرين، وإنما ذكرت علمَيْن منيرين من أعلام التصوف الحق، وهما الإمام القشيري والشيخ عبد القادر لأمور من أهما تلك الطرق التجديدية في التصوف من خلال نشر العلم الصحيح وتنقية العقائد مما لصق بها من الخرافات والانحراف، والتمسك بنصوص الشرع وجعلها الحاكم في جميع الأمور والتصرفات، وجنبة أخرى أظنها من الأهمية بمكان ألا وهي تلك النزعة الإصلاحية التي بدت واضحة في طرائق هذين العلمين، ومن سلك مسلكهم من تلاميذهم ومريديهم وتهيئة الأمة للعودة إلى عزها والمكانة التي كانت عليها، ونلمس ذلك واضحاً في النتائج المتحصّلة من هذا الإصلاح في الصحوة التي هيأت لظهور جيل الفتوحات زمن نور الدين الزنكي وصلاح الدين الأيوبي وإكرام الله لهم بتحرير القدس، بل ويزعم بعض المتخصصين إنَّ نتاج الشيخ عبد القادر وتلك الصحوة الصوفية هي اللبنة الأول في جيوش الفتح الإسلامي، ونسأل الله أن ينصر الحق وأهله ويخذل الباطل وأهله إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،
وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم.

- إتحاف الأكابر في سيرة ومناقب الإمام محيي الدين عبد القادر، عبد المجيد الزعبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧.
- أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي المالكي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ٣٠٠٣.
- أساس التأويل، للقاضي النعمان بن حيوان المغربي، تحقيق: عارف تامر، دار الثقافة، بيروت.
- الاستقامة، لشيخ الإسلام، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد ابن سعود، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ.
- أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، عبد الفتاح مفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤.
- الاعتصام، للإمام الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط١، ٢٠١٢.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي ٥٧٤هـ، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- الأنساب، لعبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن اليماني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، بلا ت.
- الأوهام الواقعة في أسماء العلماء والأعلام، مصطفى قحطان الحبيب كتاب مصور من المكتبة الوقفية.
- إيقاظ الهمم في شرح الحكم، للعلامة ابن عجيبة (١٢٦٦هـ)، المطبعة الجيكالية، مصر، ١٣٣١هـ.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد) وذيله والمستفاد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١.
- تأييد الحقيقة العلية، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لعلي بن الحسن الدمشقي، مطبعة التوفيق، دمشق، ١٣٤٧هـ.
- التحبير في علم التفسير، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم مصر، ١٩٨٢.
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، دار المنهاج، بيروت، ٢٠٠٨.
- التصوف وأثره على الفن الإسلامي، أ. م. د. هيام مهدي سالمة، بحث منشور في مجلة جامعة حلوان، الشهر الثامن، ٢٠١٧.
- التعريفات، السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي (٨١٦هـ)، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ٢٠١٣.
- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، لبنان، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ط١.

- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، المحقق: محمود حسن، دار الفكر، الطبعة الجديدة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- تلبيس إبليس، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥.
- تنوير القلوب، للعلامة محمد أمين الكردي الشافعي، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥٨هـ.
- جامع الأصول في الأولياء، أحمد النقشبندي الخالدي، مؤسسة الانتشار العربي.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣م.
- حاشية ابن عابدين رد المحتار على الدر المختار ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت١٢٥٢هـ) دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحاوي (ت١٢٣١هـ) المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق، ١٣١٨هـ، مصر.
- حاشية العلامة علي العدوي على شرح الإمام الزرقاني على متن العزية في الفقه المالكي.
- حقائق عن التصوف، الشيخ عبد القادر عيسى، مطبعة النواعير، الرمادي، العراق، ط٥، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

- ختم الأولياء، الحكيم الترمذي أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن (ت بعد ٣١٨هـ) تحقيق: الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.
- دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة، عبد الله الأمين، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩١.
- دمية القصر وعصرة أهل العصر، لأبي الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن (ت٤٦٧هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ديوان الإمام الشافعي، للإمام أبي عبد الله محمد ابن إدريس الشافعي، جمعهُ وشرحهُ: نعيم زرزور: قدم لهُ: مفيد قميمة: دار الكتب العلمية، ط١، (د. ت).
- ديوان عبد القادر الجيلاني القصائد الصوفية والمقالات الرمزية، يوسف زيدان، دار الجيل، بيروت.
- الرسالة القشيرية، للإمام زين الدين أبي القاسم القشيري، دار جوامع الكلم، القاهرة.
- رسالة المسترشدين، للحارث المحاسبي، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، ١٩٧١.
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٤، ١٤٠٦-١٩٨٦.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- روضة التعريف بالحب الشريف، ابن الخطيب السلماني، قدم له: محمد الكتاني، دار الثقافة الدار البيضاء.

- زهرة البساتين من مواقف العلماء والربانيين، د. حسن بن حسين العفاني، دار العفاني، القاهرة.
- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت.
- سنن أبو داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠١٠.
- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤.
- سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٧٥.
- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد المعروف بابن العماد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦.
- شرح جوهرة التوحيد، للإمام إبراهيم اللقاني المالكي، ط٢، ٢٠١٦.
- شرح عين العلم وزين الحلم للإمام مُلا علي القاري، إحياء العلوم، القاهرة ١٣٥١هـ.
- شيخ الإسلام وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، محمد حربي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ.
- الشيخ عبد القادر الجيلاني، موقع دار الفتوى الأوربي.
- الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، عبد الرزاق الجيلاني، دمشق، دار القلم، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤.

- الشيخ عبد القادر الجيلاني حياته وأدبه، د. سعاد الحكيم أستاذه التصوف بالجامعة اللبنانية، كتاب إلكتروني من موقع المؤلفة.
- الشيخ عبد القادر الجيلاني حياته وأدبه، مقال الكتروني في مجلة رأي اليوم.
- الشيخ عبد القادر الجيلاني وأعلام القادرية، محمد درنيقة، طرابلس الشرق، دار المعارف العمومية، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- الشيخ عبد القادر الجيلاني ودوره في الدعوة الإسلامية في أنحاء العالمين الأسيوي والأفريقي، أبو بكر القادري، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٧.
- الصوفية بين الحق والخلق، محمد فهرشقفة، دار الدعوة حماة، ط١.
- الصوفية معتقدا ومسلكا، جابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٥م.
- الصوفية والفقراء، لشيخ الإسلام زهير شفيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت.
- ضحى الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٥م.
- طبقات الأولياء، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م.

- طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد الأسدي قاضى شهبة (ت٨٥١هـ)، تحقيق: د. عبد الحافظ عبد العليم خان، دار بيروت، ١٤٠٧ هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٧١هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية.
- طبقات الشافعية للإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- طبقات الفقهاء، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م.
- طبقات المفسرين للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٣٩٦.
- الطريقة القادرية أصولها وقواعدها، ميعاد شرف الدين الجيلاني، مكتبة كتاب ناشرون، بيروت.
- عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب، يوسف محمد طه زيدان، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١م.
- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي السفاريني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتبة التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي، طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.

- قواعد التصوف، لأبي العباس أحمد الشهير بزروق الفاسي (٨٩٩هـ)، مطبعة منير، مصر، ١٣١٨هـ.
- كشف الخفا ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للإمام العجلوني، ضبطه وصحح حواشيه: الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٠.
- كشف المحجوب، أبو الحسن على بن عثمان الهجويرى، دار النهضة، بيروت، ط١، ١٩٨٠.
- الكشف عن حقيقة الصوفية، محمد عبد الرؤوف القاسم، دار الصحابة، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، تقي الدين أبو بكر بن محمد الحسيني الحصني الدمشقي الشافعي، دار الخير، دمشق، ١٩٩٤م.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت.
- اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية، لابن عطاء السكندري شرحها: الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، دار الكتب العلمية.
- اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي: لأبي نصير عبد الله بن علي السراج الطوسي (٣٧٨هـ)، طبعه وصححه: كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية.
- مجلة الرسالة الإسلامية العدد ١٦٩، الجانب الصوفي في الفلسفة الإسلامية، د. إبراهيم بيومي مدكور.
- مجموعة الفتاوى، لشيخ الإسلام أحمد الحراني، تحقيق: أنور الباز.

- مختصر الفتاوى المصرية، عبد الله محمد بن علي الحنبلي بدر الدين البعلي، المحقق: عبد المجيد سليم، محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، (د. ت).
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي بكر محمد بن قيم الجوزية (ت٧١٥هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠ هـ)، المطبعة العثمانية.
- مصرع التصوف أو تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، ١٩٨٠م.
- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغروب الإسلامي، ١٩٩٣م.
- معجم مقاييس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩.
- المعيار المُعَرّب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس، أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، أوقاف المغربية.
- معيد النعم ومبيد النقم، للإمام تاج الدين بن عبد الوهاب السبكي، ١٩٨٦م.
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق: د. على عبد الواحد وافى، لجنة البيان العربى، ط١، ١٩٦٠م.
- منارات السائرين، لنجم الدين ابي بكر الرازي الأسدي (ت٦٥٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.
- المنقذ من الضلال، لأبي حامد الغزالي، دار الاقتصاد، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان.
- الموسوعة الصوفية، عبد المنعم الحنفي، مكتبة مدبولي، ط ٥، مصر، ط١، ٢٠٠٦.
- موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
- النصرة النبوية، الشيخ مصطفى المدني، مطبعة العامرية، مصر.
- نور التحقيق في حجة أعمال الطريق، حامد إبراهيم محمد صَقر الشاذلي، دار المالية، مصر، ١٤٠٣.
- الهداية العلائية، علاء الدين عابدين، مطابع دار الفكر، دمشق، ١٣٨٠هـ.
- هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الوصية الكبرى، عبد السلام الأسمر الفيتوري، ١٩٧٩م.
- وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

المحتويات

المقدمة ٧
تمهيد ٩
الفصل الأول ١١
المبحث الأوّل: توضيح حقائق عن التصوف ١٢
المطلب الأوّل: التصوف في اللغة ١٢
المطلب الثاني: التصوف اصطلاحاً ١٤
المبحث الثاني: فائدة التصوف وأهميته وأقوال الأئمة فيه ٢٢
المطلب الأول: فائدته وأهميته ٢٢
المطلب الثاني: أقوال الأئمة في هذا العلم ٢٧
المبحث الثالث: نشأته وسبب تسميته ٥٤
المطلب الأول: أسباب نشأة التصوف وانتشاره ٥٤
المطلب الثاني: مصدر التسمية بالتصوف والصوفية ٥٦
المبحث الرابع: تصانيف الصوفية وأقسامها ٦٠
المطلب الأول: أقسام الصوفية حسب تقسيم شيخ الإسلام ٦٠
المطلب الثاني: تصنيفاتهم بحسب تقسيم الرّازي ٦٨
الفصل الثاني: الطرق الصوفية وأبرز رجالاتها ٧١
المبحث الأول: أشهر الطرق الصوفية ٧٣
المطلب الأول: الطريقة السقطية ٧٤
المطلب الثاني: القادرية ٧٥
المطلب الثالث: النقشبندية ٧٥

المطلب الرابع: التيجانية ٧٦
المطلب الخامس: البريلوية..... ٧٧
المبحث الثاني: رجال التصوف ٨١
أولاً: الإمام القشيري ٨١
المطلب الأول: حياته..... ٨١
المطلب الثاني: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه ٨٩
المطلب الثالث: زهده وورعه ٩١
المطلب الرابع: شيوخه ٩٢
المطلب الخامس: تلامذته ٩٤
المطلب السادس: مصنفاته ٩٥
المطلب السابع: مكانة الرسالة القشيرية بين الكتب ٩٧
ثانياً: الشيخ عبد القادر الكيلاني (قدس سره) ٩٩
المطلب الأول: اسمه ونسبه..... ٩٩
المطلب الثاني: مولده ونشأته..... ١٠٠
المطلب الثالث: صفاته الخلقيّة ١٠٤
المطلب الرابع: مذهبه وعقيدته..... ١٠٧
المطلب الخامس: شيوخه وتلاميذه ١٠٩
المطلب السادس: آثاره ومناقبه ١١٢
المطلب السابع: وفاته ١١٣
خاتمة البحث..... ١١٥
المصادر والمراجع ١١٧